

غريب فى أرض غريبة (الجزء الثانى)

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمي ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



هذا هو الجزء الثانى والأخير من رواية (غريب فى أرض غريبة) ، والحقيقة أننى لم أقسمها بهذا الشكل اعتباطًا ، ولكن لأن النقاد يجدون أن الفارق بين الجزأين كبير ، وتفسره حقيقة أن عشر سنوات تفصل بين كتابتهما . ينتهى الجزء الأول بالبلوغ ومغادرة الطفل الساذج (مايكل) لبيت أبيه الروحى (جوبال) ، بينما يحكى الجزء الثانى عن مواجهة (مايكل) البالغ للعالم الخارجى ، وتكوينه نوعًا من الفلسفة / العقيدة التى تتحدى المجتمع الأمريكى بكل عاداته وتقاليده ، التى يراها رجل المريخ البرىء مزيفة أو - على الأقل - غير مبررة . وهذا الجزء أكثر جرأة من الناحية الفلسفية والثيولوجية والحسية مما جعلنى أمارس دور الرقيب بحماس .. لست أفضل من يلعب هذا الدور ، لكننى متمسك بالطابع الأسرى لهذه الكتيبات بالذات حتى لو اضطررت لحذف صفحات كاملة من النص الأصلى ، بشرط ألا أفسد السياق أو المعنى العام للقصة . لاحظ عبارة (ترجمة وإعداد) على الغلاف لا كلمة (ترجمة) فقط .. أى أننا هنا نتعامل مع حالة

خاصة جداً . لنتذكر الآن ما قلناه عن (روبرت هاينلاين Heinlein) كاتب الخيال العلمى الأمريكى الذى ولد فى (ميسورى) عام ١٩٠٧ ، وتوفى عام ١٩٨٨ . ويعتبر هو و(أزيموف Asimov) و(آرثر كلارك Clarke) الزوايا الثلاث لمثلث أدب الخيال العلمى الراقى . فاز بجائزة (هوجو) التى تقدم لأفضل قصص العام عن قصصه (نجم مزدوج - ١٩٥٦) و(دورية النجوم - ١٩٦٠) و(غريب فى أرض غريبة - ١٩٦٢) و(القمر عشيقة قاسية - ١٩٦٧) .

نشرت أول قصة له (خط الحياة) علم ١٩٣٩ ، وكان أجره عنها سبعين دولارًا . ومن يومها كتب بغزارة اضطرته إلى اختلاق عدد من الأسماء المستعارة ؛ لأن المجلات ما كانت لتقبل نشر قصتين لنفس المؤلف فى العدد ذاته .

كانت كتاباته تمتاز بالخصائص الثلاث الأساسية لأدب الخيال العلمى : حبكات مصممة جيدًا - شخصيات حية - وجدل علمى جيد . وكان يتمتع بدقة علمية كبيرة ، مما مكنه من مزج العلم بالخيال بجرعات مختلفة .

من أهم إضافاته لأدب الخيال العلمى إدخال علوم لم تناقش من قبل مثل الإدارة والسياسة والاقتصاد واللغويات والوراثة وما وراء علم النفس .. وهكذا صارت أعماله بذرة الموجة

الجديدة فى أدب الخيال العلمى . وتعتمد قصصه كلها على الحوار (مقاطع طويلة جدًا منه) أكثر من السرد ، فتتكلم شخصياته كبشر لا كشخصيات خيالية .

كان نجاحه ساحقًا منذ البداية ومنذ نشر قصته الأولى . وقد دون أفكاره فى خطة تدعى (تاريخ المستقبل) . وجاهد كى يجعل المستقبل ذا مصداقية كالحاضر .

من الناحية الصحية كان معتل الصحة يتمتع بقائمة أمراض ، منها الدرن الذى أدى لإعفائه من البحرية . عمل أثناء الحرب العالمية الثانية فى تصميم بذلات تتحمل الضغط العالى . وكانت زوجته الثانية مكسبًا حقيقيًا له ؛ لأنها كانت ملازمًا فى البحرية ، تتكلم سبع لغات ، وخبيرة بالكيمياء الحيوية .

بين العامين ١٩٤٨ و١٩٦٢ كتب قصص خيال علمى للشباب ، لا تختلف عن كتاباته للبالغين إلا فى نقطة استبعاد أية تلميحات جنسية وجعله الأبطال مراهقين دائمًا . وكانت لهجة المعلم عالية فى تلك الكتيبات لكن من دون أن يفسد القصة ذاتها . فى الوقت ذاته قدم (هاينلاين) عناوين مهمة مثل (سادة الدمى ـ ١٩٥١) و(الباب المفضى إلى الصيف ـ ١٩٥٧) و(النجم المزدوج ـ ١٩٥٦) .

تحولت قصته (تلميذ الفضاء ـ ١٩٤٨) إلى مسلسل تليفزيونى ، ومن قصته (الصاروخ جاليليو ـ ١٩٤٧) خرج الفيلم الشهير (الهدف القمر ـ ١٩٥٠) الذى اعترف علماء كثيرون فى ناسا NASA بأنه جعلهم يختارون هذه المهنة ، ولهذا كرمته ناسا . هناك عديد من الأفلام السينمائية جاءت من كتبه ، أقربها لنا هو (الكوكب الأحمر) الذى عرض فى مصر منذ ثلاثة أعوام .

فى العام ١٩٤٩ وعلى سبيل الدعابة ، اقترح قراء مجلة خيال علمى شهيرة عدة أسماء لقصص تنشرها المجلة ، واتصل رئيس التحرير به طالبًا أن يكتب قصة خيال علمى ـ بصرف النظر عن موضوعها ـ يكون اسمها (الخليج) .. هكذا جلس مع زوجته يفكران فى الأحداث بالأسلوب المعروف بـ (عاصفة الدماغ) . هنا فكرت زوجته فى تقديم نسخة خيال علمى من شخصية (موجلى Maugli) .. بطل (كتاب الأدغال) .. الطفل البشرى الذى ربته الحيوانات .. ماذا عن بشرى ربته كائنات فضائية ؟ تجاهل الكاتب الكبير الفكرة وقتها وكتب عن شىء مختلف تمامًا ، وإن ظلت الفكرة فى مفكرته عدة أعوام .. هكذا ولدت قصة (غريب فى أرض غريبة Stranger in a strange land) عام ١٩٦٢ .

ولسوف تكون هذه القصة أهم قصصه وأفضلها . لقد ناقش فيها كل شىء عن العالم الغربى .. ويعتقد كثيرون أنها نتاج طبيعى لاضطراب المجتمع الغربى فى الستينات .. لكن الغريب أن الهيبى وجدوا قدوتهم فى هذه القصة ، وعاملوها كأنها كتاب دينى .

يقال عن هذه القصة إنها دستور الثقافة المضادة .. وإنه من الصعب أن يعيش المرء فى العالم الغربى دون أن يتشرب منها شيئًا حتى لو لم يكن قد قرأها قط ؛ لأن الهواء نفسه يفوح بها . وقد أضافت القصة مصطلحات جديدة للغة الإنجليزية منها Grok ، وهى لفظة مريخية أصلاً بمعنى (الفهم الشامل والاستيعاب الذى يصل إلى حد التشرب ، وربما التهام الشىء الذى تريد فهمه ..) حتى إن الغربيين قد يقولون أثناء الحوار العادى :

- « Grok it »

بل إن هناك كنائس أقيمت باسم (كنيسة كل العوالم) نتيجة لصدور هذه الرواية . على أن (هاينلاين) نفسه ينفى أن تحوى قصته أية إجابات تقدم للعقول الكسول ، إنما هى مليئة بالأسئلة التى تدعونا إلى أن نفكر .

بقى أن نعلم أن هذه القصة هى الأعلى مبيعًا فى تاريخ أدب الخيال العلمى على الإطلاق .

ابتكر (هاينلاين) كذلك مفهوم (العالم كأسطورة World-as- Myth) الذى يتصور أن كل كون هو فكرة فى خيال مؤلف فى كون آخر . وفى قصته (رقم الوحش ـ ١٩٨٠) جعل أبطال قصصه المختلفة يلتقون ، بل يقابلون أبطال قصص لمؤلفين آخرين . كما ناقش هذه الفكرة فى كتاب (القطة التى تعبر الجدران ـ ١٩٨٥) .

كان (هاينلاين) أول كاتب خيال علمى عاش بالكامل من قلمه ، وأول كاتب خيال علمى وضع هذا النوع من الأدب فى قوائم أعلى المبيعات . واليوم نلقاه فى الجزء الثانى من هذه القصة .

د . أحمد خالد توفيق

15

كان له ذات طابع الكرنفالات المعتادة فى ذات المدن . نفس المذاق لحلوى (غزل البنات) ونفس الجولات ، بينما حاولت تلك الملاهى سيئة السمعة أن تحتفظ بدرجة من التحفظ والاعتدال تتفق مع القوانين المحلية ، وفى الوقت ذاته تستلب الرواد نقودهم سواء بعجلة الحظ أو مضارب البيزبول التى تصوبها نحو هدف ما ..

وكان عرض (عشرة فى واحد) تقليديًا كذلك .. لم يكن فيه قارئ أفكار ، لكن كان فيه ساحر .. لم تكن فيه امرأة ملتحية ، لكن كان فيه نصف امرأة نصف رجل . لم يكن فيه بالع سيوف ، لكن كان فيه آكل نار . وبدلاً من الرجل الموشوم كانت هناك امرأة موشومة ، وكان العرض يقدم جائزة عشرين دولارًا لمن يجد بوصة مربعة واحدة تحت عنقها خالية من الوشم ! وكانت المرأة التى تدعى مسز (بايونسكى) تقف من حين لآخر ملتفة بحية (بوا Boa) عاصرة تدعى (هانى بان) .

بالإضافة لهذا لم تكن الإضاءة ممتازة ، مما جعل العثور على هذه البوصة المربعة مستحيلاً . لكن المرأة لم تترك شيئًا للصدفة ؛ لأنها كانت تملك مع زوجها الراحل ستوديو

للوشم فى (سان بدرو) لعدة أعوام ، وقد قضت أعوامًا طويلة تضيف الوشم لجسمها حتى لم يعد ثمة مكان للمزيد .

كان عرضها هو العرض قبل الأخير .. أى قبل الساحر . الدكتور (أبوللو) الذى يبدأ عرضه بأن يمرر على الجمهور دستة من الحلقات المعدنية البراقة الواسعة ، ويطلب منهم أن يتأكدوا بأنفسهم من أن الحلقات مصمتة ناعمة . ثم يريهم كيف أن الحلقات تداخلت . أحيانًا كان يضع عصاه السحرية تحت إبطه ويجعل مساعدته تناوله بعض البيض ثم يقذف نصف دستة منه فى الهواء . لكن أحدًا لم يكن يبالى به لأن الأنظار كانت تتجه إلى مساعدته ، برغم أن ثيابها كانت أكثر احتشامًا من أكثر المتفرجات ، هكذا ظل عدد البيض يقل ويقل حتى صار واحدة ، من ثم هتف الرجل : إن البيض يصير أقل شحًا عامًا بعد عام .

أحيانًا يزعم أنه يقرأ الأفكار فيقول لأحد الشباب الجالسين : « يا بنى .. أنا أعرف ما تفكر فيه .. تفكر فى أننى لست ساحرًا حقيقيًا .. وأنت محق لهذا وتستحق جائزة .. »

ثم يقذف للفتى بدولار .. لكن هذا يختفى قبل أن يتلقفه

الفتى .. فيقذف له الساحر بدولار آخر ، وينصحه بأن يحترس هذه المرة . بعد هذا تهمس له المساعدة بشىء ، فيقول للجمهور : إن مدام (مرلين) ترغب فى النوم ، ويشير إلى فراش لتتمدد عليه .. ويقول :

ـ « إنها الآن نائمة .. لقد لعب النعاس برأسها حتى صارت خفيفة .. خفيفة تمامًا .. هلا غطيناها إذن ؟ فلا يجدر بسيدة محترمة أن تنام أمام العيون . »

وينهض ثلاثة رجال متحمسين ، ليضعوا الملاءة فوقها لتغطيها بالكامل من رأسها حتى أخمص قدمها ..

هنا يشرح صبى وسط الجماهير اللعبة بهمس مسموع :

ـ « هى ليست تحت الملاءة الآن .. حينما وضعوا الغطاء عليها انزلقت هى إلى جب سفلى .. وما تحت الأغطية الآن مجرد هيكل .. ثم سوف يجذب الغطاء وفى اللحظة ذاتها ينكمش الهيكل ويختفى .. إنها لعبة ميكانيكية يمكن أن يؤديها أى واحد . »

تجاهله د. (أبوللو) وقال :

ـ « ارتفعى أكثر يا مدام (مرلين) .. أعلى . »

من ثم راح الجسد المغطى بالملاءات يرتفع نحو ستة أقدام فوق خشبة المسرح . طلب د. (أبوللو) من المتطوعين أن ينزعوا الغطاء وقال :

ـ « هى لم تعد بحاجة له الآن .. إنها نائمة على السحب .. ماذا ؟ تقول إنها لم تعد بحاجة للأغطية الآن لأنها ثقيلة . »

يقول الصبى :

ـ « هنا يختفى الهيكل .. إنه مثبت بقضيب إلى أسفل . »

جذب الساحر طرف الملاءة فوجد الناس أنهم ينظرون إلى مدام (مرلين) وهى ما زالت تطفو ومازالت غافية .. هب الناس يحيطون بخشبة المسرح من كل الجهات ، وسألوا الغلام :

ـ « إذن أين هذا القضيب ؟ »

قال الصبى من غير يقين :

ـ « يجب أن تنظر حيث لا يريدك الساحر أن تنظر .. هكذا يضعون هذه الأضواء لتعمى عينيك .. »

قال الساحر :

ـ « هذا كاف أيتها الأميرة النائمة .. هاتى يدك .. انهضى ! انهضى .. »

وساعدها على النهوض فالنزول إلى خشبة المسرح .

ويكون العرض قد انتهى بينما أنوار الخيمة الرئيسة تنطفئ ؛ لأن العرض سيرحل فى الصباح ، وقد بدأ عمال الفراشة فى فك الأوتاد عن الخيام الجانبية . أما مؤدو الفقرات من غريبى الخلقة والممثلين فلسوف يظفرون ببعض ساعات النوم .

بعد قليل يأتى المدير والمالك ومقدم العروض إلى تلك الخيمة المعتمة بعدما تأكد من رحيل المشاهدين جميعًا . ويقول للساحر :

ـ لا « تذهب يا (سميتى) .. معى شىء لك .. »

ثم يناوله مظروفًا مغلقًا يأخذه الساحر دون أن يفتحه ، ويضيف المدير :

ـ « أكره أن أخبرك بهذا يا فتى ، لكنك وزوجتك لن تذهبا معنا إلى (بادوكاه) . »

ـ « أعرف . »

ـ « حسن .. لا تأخذ الأمور على محمل شخصى .. لكن على أن أفكر فى العرض .. سوف نستبدل بفقرتك عرضًا لقارئ

أفكار وعرافة تمارس قراءة الجماجم **phrenology** .. أنت تعرف أننا كنا نجربك ، ولم نتفق على استكمال الموسم .. (سميثى) .. هل ترغب فى نصيحة ؟ قل لا لو لم ترد هذا .. »

– « بل أريد سماع نصيحتك . »

– « حسن يا (سميثى) .. إن حيلك ممتازة .. بل إن بعضها أدار رأسى .. لكن الحيل البارعة لا تصنع ساحرًا .. المشكلة هى أنك لست مندمجًا فى الأمر حقًا .. أنت تتصرف كممثل كرنفال ، لكنك لا تملك فكرة عما يجعل الأحمق أحمق . الساحر الحق يستطيع أن يجعل (الزباين) يفتحون أفواههم .. أنا لم أر من يمارس طفو الأجساد **levitation** بهذا القدر من البراعة ، لكنها لا تثير حماس الناس . أنا على سبيل المثال لا أستطيع أن ألتقط ربع دولار فى الهواء .. بل لا أستطيع أن آكل بالشوكة والسكين من دون أن أجرح فمى .. لكنى أعرف الشىء الوحيد المهم .. أعرف المشاهدين .. أعرف ما يشتهونه سواء عرفوا هذا أم لم يعرفوه .. هذه هى مهنة الاستعراض سواء كنت رجل سياسة أو واعظًا دينيًا أو ساحرًا .. إن المشاهد يريد الدم والمال والجنس .. للأسف نحن لا نمنحه دمًا كافيًا ما لم يرتكب أحد قاذفى السكاكين أو آكلى النار خطأ قاتلاً .. لا نمنحه المال لكننا نمنحه أملاً فى أن يظفر به ..

لا نعطيه الجنس لكننا نعطيه وعداً بأن يرى شيئاً ما .. هكذا لا يظفر بشيء فى الواقع لكننا نعيده لداره سعيداً .. ماذا يريد الأحمق غير هذا ؟ يريد الغموض .. يريد أن يحسب العالم اللعين مكاناً رومانسياً بينما هو ليس كذلك .. المشاهد يعرف أن حيلك زائفة ، لكنه يريد أن يعتقد أنها حقيقية .. وعليك أن تساعده على ذلك .. لكنك تفتقر إلى هذه الموهبة .. »

- « حسن يا (تيم) .. كيف أقنعه بذلك ؟ »

- « بحق السماء هذا شيء لا أستطيع تعليمه لك .. عليك أن تتعلمه بنفسك .. مثلاً أنت تطلق على نفسك (الرجل من المريخ) .. لن يصدق أحد هذا لأنهم جميعاً رأوا الرجل من المريخ .. أنا عرفته بنفسى .. حتى لو كنت تشبهه فلن يصدق أحد أن رجل المريخ يمثل فى هذا الكرنفال الحقير .. كأنك تطلق على بالع السيف عندنا لقب (رئيس الولايات المتحدة) .. المشاهد يريد أن ينخدع ، لكنه لن يسمح لك بإهانة القدر الضئيل من الذكاء الذى يملكه . »

وغادر الخيمة ..

هنا جاءت المرأة الموشومة (باتريشيا بايونسكى) من فتحة الخيمة الخلفية وهتفت :

ـ « يا شباب .. هل حقًا تخلص (تيم) من فقرتكما ؟ »

ـ « كنا راحلين على كل حال يا (بات) .. إن (تيم) على حق .. أنا لا أملك ملكة الاستعراض . »

ـ « هذا لا يمنع من أننى سأفتقدكما .. لقد كنتما بمثابة ابنين لى .. »

اقترح الساحر الذى هو (مايكل) أن يصحبها و(جيل) إلى المدينة لتناول مشروب على سبيل الوداع .. وتولى هو القيادة .. كانت تلك مدينة صغيرة خالية من إشارات المرور الإلكترونية . وقد قاد السيارة بدقة غير عادية بين المطبات ، وكانت (جيل) تعرف كيف أن (مايكل) يملك إحساسًا ممتدًا بالزمن بحيث يستطيع تخطى المطبات وقذف البيض فى الهواء بالسرعة البطيئة . لم تشعر بهذه السعادة قط إلى أن قابلته .. هى التى ظلت تحت طغيان الساعة والزمن منذ كانت تلميذة فى المدرسة ، ثم صارت تحت طغيان أكبر فى عملها بالمستشفى . ولم يكن عملها فى الكرنفال يقتضى الإحساس بالزمن .. فلم يكن مطلوبًا منها إلا أن تقف وتبدو جميلة عدة مرات فى اليوم . ولم يكن (مايكل) يبالى إن أكل مرة أو ست مرات يوميًا .. لقد التحقا بأكثر من كرنفال ، فبدا لها أن عالم الكرنفال مغلق ومعزول عن الألم الخارجى ، وقد راق هذا لها .

لقد بدل (مايكل) ملامحه نوعًا ، وزاد من تجاعيد وجهه ، بالإضافة إلى أنهما كانا يقصدان أماكن لا يتوقع أحد أن يرى رجل المريخ فيها . هذا ساهم فى جعلهما يعيشان فى سلام . وقد تكفل (جوبال) بتلفيق قصة تغطى هذا الاختفاء ، وهكذا قرأت فى الصحف ذات يوم إن الرجل من المريخ قد ذهب إلى التبت . لكن هذا (التبت) لم يكن إلا (مشويات هانك) فى مدينة ما ، حيث يعمل (مايكل) غاسل أطباق وهى ساقية . وظلا فى هذا العمل أسبوعًا ، ثم انتقلا لمدينة أخرى . وفى الصباح كانا يجلسان فى المكتبة ؛ لأن (مايكل) اكتشف تلك الحقيقة الرائعة أن (جوبال) لم يكن يملك كل الكتب على وجه الأرض . وكان (مايكل) حريصًا على اختيار الفنادق التى يكون فيها مغطس ماء كبير ؛ لأنه حريص على طقوس الماء ..

كانت (باتريشيا) ـ المرأة الموشومة ـ من أتباع كنيسة (فوستر) ، وكانت تؤمن أن الشابين صالحان لينضما إلى تلك الجماعة الدينية العجيبة . بل إنها كانت تحتفظ تحت ذقنها بوشم يمثل ميلاد (فوستر) الذى تعتبره كبير الملائكة . ثمة وشم يمثل معجزته الأولى حين أطلق خاطئ صغير من المدرسة الرصاص على عصفور صغير ، فأمسك بهذا العصفور القتيل ومسح عليه فطار .

قالت لهما :

ـ « لم يكن كبير الملائكة (فوستر) يعرف أنه رجل مقدس حتى سن المراهقة .. برغم أنه قام بمعجزات عديدة قبل هذا .. »

كان وشم المرأة يعجب (مايكل) .. فقد كان يعطيها طابعًا خاصًا ، وربما يجعلها أقرب إلى المريخيين .. بهذا كانت تختلف عن ذلك التماثل الممل للبشر الآخرين . أما (جيل) فكانت تعتقد أن المرأة كانت ستكون أجمل لو لم تحول نفسها إلى قصة (كوميكس) حية .. لكن هذا على الأقل مصدر رزق لها ، ولسوف يظل كذلك إلى أن تصير عجوزًا قبيحة لا يعبأ أحد بالنظر لها حتى لو كان (رمبرانت) هو الذى رسم ذلك الوشم عليها .

قام (مايكل) بعرض سحرى صغير فى خيمتهما .. إذ رفع المرأة عن الأرض .. مما أصابها بالذهول .. كانت متأكدة من أنه لم يستعمل أية حيلة ، لذا اعتقدت أنه ملاك آخر .. لكن (مايكل) اعترف لها بأنه الرجل من المريخ .. وقد قبلت المرأة هذه الحقيقة ، لكنها أصرت على أن تعتبره (باحثًا عن الحقيقة) مثلما كان (فوستر) فى شبابه ..

قالت له (جيل) عن طريق تـوارد الخواطر وهى الطريقـة التى تعلمتها للتفاهم معه :

(« (مايكل) .. نحن بحاجة إلى كأس من الماء »)

(« ؟؟؟؟؟؟؟؟ »)

(« نعـم »)

(« أخو ماء .. صديق »)

هكذا نفذ (مايكل) ما تقول .. ارتفع كأس من الماء فى الهواء واتجه تحت الصنبور ثـم حلق إلـى يد (مـايكل) .. وكانت (باتريشـيا) تراقب هذا دون كـلام .. لقـد تجـاوزت الآن حد الدهشة .

قالت لها (جيل) :

- « هذا طقس مريخى .. إنه يعنى أنـك تثقين بنـا وأننـا نثق بك .. وأننا شركاء دومًا الآن وإلى الأبـد .. إنـه طقس بالغ الأهمية ومتى تم فلا يمكن أن يخرق .. لكن ليس عليك أن تشـاركينا طقوس المـاء ولسوف نظـل أصدقـاء ..نحـن لا نؤمن بجماعة (فوستر) هذه ولن ننضم لهـا أبدًا ، لكن بوسعك أن تعتبرينا باحثين عن الحقيقة كما تريدين . »

قال (مايكل) :

ـ « أتمنى لو شرحت لك الأمر بالمريخية ، لكن لو كان لديك أى سبب نفسى أو دينى يمنعك من شرب الماء معنا فلا تفعلى .. »

وافقت المرأة فشربت (جيل) جرعة من الماء وقالت :

ـ « نحن نزداد قربًا . »

ثم ناولته لـ (مايكل) الذى نظر للمرأتين وقال :

ـ « أشكرك على الماء يا أخى .. » وشرب جرعة ثم ناول الكأس لـ (باتريشيا) وقال : « (بات) .. انا أعطيك ماء الحياة .. لتكن شربتك عميقة أبدًا .. »

وشربت المرأة الماء وهى تشكرهما .. هكذا صارت أخاهما المائى ..

★ ★ ★

16

إذ انغلق باب جناحهما وقد رحلت (باتريشيا) قالت (جيل) :

- « والآن يا (مايكل) ؟ »

- « سوف نرحل يا (جيل) .. بالمناسبة أنت قرأت علم النفس .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. أثناء تدريبى .. لكن ليس بسعة قراءاتك أنت .. »

- « هل تعرفين ما يرمز إليه الوشم والثعابين ؟ »

- « أعرف .. »

- « إذن اجمعى حاجياتك واختارى الثوب الذى تريدين ، وسوف أتخلص من المهملات التى لدينا .. »

كانت (جيل) تعتقد فى حزن أنها ترغب فى أخذ شىء أو اثنين من حاجياتها ، لكن (مايكل) كان يفضل أن يسافرا وليس معهما إلا الثياب التى عليهما .

- « سآخذ الثوب الأزرق .. »

من ثم طفا الثوب نحوها ثم مشى حذاءان يناسبان اللون ذاته ، وانتظرا حتى وضعت قدميها فيهما ..

قالت له وقد تذكرت شيئًا :

ـ « كم أتمنى لو تطلق على أسماء تدليل من حين لآخر كما أفعل معك .. »

ـ « ليكن .. ولكن أية أسماء تدليل ؟ »

قبلته بسرعة وقالت :

ـ « أوه .. (مايك) .. أنت ألذ وألطف إنسان قابلته وأكثر مخلوق يثير الغيظ على الكوكبين معًا ! لا تهتم بأسماء التدليل .. فقط سمنى (الأخ الأصغر) من حين لآخر .. »

ـ « حسن يا أخى الأصغر . »

ـ « والآن هلم بنا .. سأدفع الفواتير أولاً .. »

وهكذا اتجها إلى المحطة وركبا أول حافلة متجهة إلى أى مكان . بعد فترة ظهرا فى (لاس فيجاس) حيث جرب (مايكل) كل الألعاب فى الكازينو ، على حين عملت (جيل) كفتاة استعراض فى (بابل الغرب) . ولم تكن تستطيع أن ترقص أو تغنى لذا كان العمل الذى تقوم به كفتاة بارعة الجمال هو أن تقف وهى تضع على رأسها قبعة لا تناسبها وتبتسم . وقد أثار دهشتها أنها تحب هذا ثم أدركت أن

السبب الحقيقى هو أن (مايكل) لا يفهم الجمال الأنثوى ولا يقدره ، لذا كان هذا هو الشىء الوحيد الذى لم يقدمه لها .

أما عن (مايكل) فكان حريصًا على ألا يربح طيلة الوقت فى (كازينو) واحد ، وكما علمته (جيل) كان يربح بضعة آلاف ثم ينسحب قبل أن يلفت الأنظار . ثم وجد عملاً كمدير لعبة حيث راح يمضى الوقت فى مراقبة اللاعبين محاولاً فهم Grok غريزة القمار ، وقد أدرك أنها نوع من الشهوة لا تخلو من إثم كبير . كان أداؤه طبيعيًا لكنه كان يكره لمس أى إنسان ليس أخا ماء له .

كانت قد جعلته يزيد من خشونة ملامح وجهه ليتخلص من ذلك الوجه الطفولى شبه الأنثوى المثير للريبة .

إلا أن (جيل) كانت مضطربة لأن (مايكل) عامة لم يكن يفهم معنى الغيرة عليها ، وقد سألته عما سيفعله إذا تحرش بها أحد المشاهدين ، فقال دون أن يبتسم :

- « أعتقد أنه سوف يختفى .. »

- « م م م ! أنا أدرك ذلك أيضًا .. لكنك وعدتنى أنك لن تفعل شيئًا كهذا ثانية إلا للضرورة القصوى .. إلا لو سمعتنى أصرخ وأقاوم ودخلت عقلى لتدرك أننى فى مشكلة حقيقية .. »

لكنها لم تستطع أن تجعله يفهم معنى الغيرة كما نعرفه نحن ، وبرغم أن المحاورة دارت بالمريخية لأن تلك اللغة أكثر دقة فى التعبير عن المشاعر .. إلا انها عاجزة عن التعبير عن المفاهيم ..

وأثناء العرض راح (مايكل) يسليها بحيلة أخرى ، هى أن ينقل لها ما يراه وما يفكر فيه كل واحد من الجماهير نحوها .. وقد أثار دهشتها أن ترى مدى اختلاف الصورة التى يراها الناس عن تخيلها هى لنفسها ..

هكذا راحا يتنقلان بين مدينة وأخرى . وقد راح يطالع بعض الكتب الدينية مثل القرآن والتوراة والإنجيل كما قرأ كتاب الموتى وكتاب الغصن الذهبى والطريق وكتاب (المورمون Mormon) والكاما سوت Kama ـ Sutra وحتى المذاهب العجيبة مثل (كتاب قانون كراولى) .

قال لها ذات يوم وهو جالس بين الكتب :

ـ « أنا لا أستوعب يا (جيل) .. فى الحقيقة أنا لست بشريًا .. أنا مريخى له شكل غريب يختلف عن المريخيين .. نحن فى المريخ لا نعرف الأديان وحينما تحيرنا بعض الأسئلة نستشير الكبار القدامى .. هل السبب هو أننا فى المريخ نشعر

بأننا نموت كلية إذ نموت ؟ لا شىء يبقى منا ؟ هلا شرحت لى ؟ أنت بشرية .. »

قالت له باسمة :

- « أولاً أنا أعتبرك بشريًا كاملاً .. ثم إنك تفهم معنى الأبدية والحياة بعد الموت .. أنت لا تموت ولكن (تفقد اتحادك) .. أنت علمتنى هذا المفهوم . سوف أفارق هذا الجسد لكنى لن أموت .. »

قال لها :

- « سوف آكلك يوم تفقدين اتحادك .. ما لم أفقد اتحادى أولاً .. »

ثم أضاف :

- « قرأت الكثير مما عرفه علماؤكم .. وهى أشياء بدائية عرفتها وأنا بعد فى العش .. لكن هذا ليس ما أريد .. لا يمكن أن تعرفى كنه الصحراء بمجرد أن تعرفى عدد حبات رمالها .. عندكم فلاسفة مثل (كانط kant) وهم يحاولون الوصول للحقيقة عن طريق استخدام استنتاجاتهم الخاصة .. هؤلاء أعتبرهم (مطاردى ذيولهم) .. »

ثم أضاف :

ـ « لم أفهم قط لماذا يضحك البشر .. ذات مرة كنت أعاملك بلطف فوجدتك تضحكين وتضحكين حتى خفت عليك .. لم أتعلم الضحك قط ..لكنك نسيته أيضًا .. بدلاً من أن تجعلينى أرضيًا صرت أنت مريخية .. »

ـ « لو كنت قد ضحكت لكنت لاحظت هذا .. على كل حال ما أرغب فيه حاليًا هو أن نزور حديقة الحيوان .. »

ـ « لك هذا .. »

ـ « أريد أن أتحدث إلى الجمال وأسألها عما يضايقها .. لربما كانت الجمال هى (الكبار القدامى) الحقيقون هنا .. »

هكذا اتجها إلى حديقة (جولدن جيت) .. كان الطقس باردًا لكن (جيل) تعلمت من (مايكل) أن بوسعها ألا تشعر بالبرد إذا لم ترد هذا ، لكنهما دخلا إلى بيت القردة لأنه دافئ نوعًا . إلا أنها لم تحب بيت القردة .. فقد كانت تلك الحيوانات تحمل ملامح شبه بشرية إلى درجة تبعث الاكتئاب .

أحبت بيت الأسود أكثر لأن هذه الوحوش كانت متغطرسة أكثر ثقة بالنفس ، وهذا الجمال المتسلط لنمور البنغال التى

تطل الأغال من عيونها ، وتلك الرائحة التى لا تقدر مكيفات الهواء على إزالتها . أما (مايكل) فشعر بالشىء ذاته بالنسبة لبيت الزواحف لأنه ذكره بكوكب المريخ والقوم الذين ربوه .

وكان (مايكل) قد فقد صوابه حينما رأى حديقة الحيوان أول مرة وكاد يطلق سراح الحيوانات كلها ـ لولا أن (جيل) أقنعته بأن هذه الحيوانات قد تموت ، لأنها غير مؤهلة لتحمل المناخ الذى ستخرج له . ثم أقنعته أن القضبان مخصصة لحماية الحيوانات من البشر .

راحت (جيل) تلقى بالفول السودانى متجاهلة لافتات (لا تطعم الحيوانات) . ألقت بواحدة لقرد متوسط الحجم ، وقبل أن يتلقفها وثب عليه ذكر أضخم حجمًا فسرق الفول منه وضربه أيضًا . ولم يحاول القرد صغير الحجم أن يلحق بمعذبه .

راح (مايكل) يرقبه فى حزن .. هنا نهض القرد الأصغر حجمًا وبحث عن قرد أصغر منه ، وأعطاه علقة ساخنة أسوأ مما تلقاها هو ، وبعد هذا بدا عليه الاسترخاء .

هنا فقط طوح (مايكل) برأسه للوراء وانطلق يضحك .. بصوت عال .. وبلا سيطرة على نفسه . راح يشهق طلبًا للهواء والدموع تتساقط من عينيه . ثم سقط على الأرض من فرط الضحك .

ـ « توقف يا (مايك) ! »

وهرع أحد الحراس يسألها :

ـ « هل أساعدك يا سيدتى ؟ يبدو كأنه مصاب بنوبة .. »

ـ « لا .. بل نعم .. نريد سيارة أجرة .. يجب أن أخرجه من هنا فهو ليس على ما يرام . »

بعد ثوان كانت تركب سيارة طائرة مع (مايكل) . وسرعان ما جرته لشقتهما وهو ما زال يهتز . نزعت ثيابه وفركت عينيه وقالت :

ـ « خذ راحتك يا حبيبى .. انسحب لو كنت تريد هذا .. »

ـ « أنا بخير يا أخى الصغير .. »

ـ « لكنك أثرت هلعى .. »

ـ « أنا أفهم grok البشر الآن .. أفهمهم يا أخى الصغير .. أنا أعرف الكلمات كلها لكنى كنت غير قادر على فهمها .. الآن أفهمها .. أفهم النكات .. أفهم البشر .. أعرف لم يضحكون .. يضحكون لأنهم يتألمون جدًا .. لأن هذا هو الشىء الوحيد الذى يوقف الألم .. »

قالت له فى حيرة :

- « يبدو أننى لا أنتمى للبشر .. فأنا لا أفهم .. »

- « بل تفهمين .. لقد كبرت مع هـذه الأشياء فصارت مسلمات لديك .. أنا تربيت ككلب أبعد عن الكلاب فلم يستطع أن يصير كسادته ولم يستطع قط أن يصير كلبًا .. لذا علمنى أخى (محمود) وعلمنى (جوبال) وأنت قمت بالدور الأكبر .. اليوم تخرجت وضحكت .. فى المريخ لم نكن نضحك لأن كل الأشياء التـى تعتبرونها مضحكة لا تحدث أو لا يسمح لها بأن تحدث .. »

سألته فى حذر :

- « أى شىء مضحك ؟ كان القرد الكبير منحطًا .. وكذلك تبين أن الصغير منحط .. »

- « نعم .. لقد رأيت فى قفص واحد كل الأشياء التـى أثارت دهشتى منذ عودتى لقومى .. فشعرت فجأة بأن الألـم عظيم وضحكت .. »

- « لكن الناس لا تضحك إلا لمشهد لطيف .. »

- « كان مظهر الفتيات فى العرض الراقص لطيفًا ، لكن

أحدًا لم يضحك .. لقد ضحكوا حينما سقط أحد الممثلين على الأرض ، وهذا لم يكن مشهدًا لطيفًا .. أريد أن تحكى لى بعض النكات .. أكثر النكات التى أثارت ضحكك وسأرى إن كنت أفهم .. »

عبثًا راحت تحكى له النكات التى حسبتها ظريفة يومًا بلا جدوى .. وهكذا شعرت بالقنوط .. وفى الليل نهضت فرأت أنه يقف خلف النافذة يرمق المدينة ..

(« هل من مشاكل يا أخى ؟ »)

قال لها :

ـ « لا أفهم لماذا يجب أن يكونوا تعساء .. ألم ومرض وجوع وحروب .. لا داعى لشىء من هذا كله .. إنها حماقة كحماقة القردة .. »

ـ « هذه المدينة بها خمسة بلايين شخص . ليس بوسعك إنقاذ خمسة بلايين .. »

ـ « إننى أتساءل .. . »

★ ★ ★

17

الجزء الرابع

عن مهنته المخزية

فى الآونة الأخيرة كان (جوبال) يشعر بالملل .. كانت هناك أخبار كثيرة عن (مايكل) مؤخرًا لكنها محبطة جميعًا . كان (مايكل) و(جيل) يزورانه من آن لآخر .. لكن زياراتهما بدأت تتقطع . عرف أن (مايكل) - بمساعدة (دوجلاس) - قد التحق بالقوات المسلحة تحت اسم مستعار هو (جونز) . وقد أنهى حياته فى الجيش بعد ثلاثة أسابيع حينما وجه بعد التدريب أسئلة محرجة عن جدوى القوة والعنف ، وقال إن مشكلة زيادة تعداد السكان يمكن حلها عن طريق أكل لحوم البشر . وعرض أن يجربوا أى سلاح يريدون عليه ليبرهن لهم أن القوة لا تجدى مع شخص يتحكم جيدًا فى نفسه . لكنهم لم يقبلوا عرضه وطردوه من الجيش . قال له (دوجلاس) إن هناك شهود عيان رأوا أسلحة تختفى من أمام المجند (جونز) بلا تفسير .. ويقول التقرير فى نهايته إن المجند يملك بعض المواهب لكنه

فاشل تمامًا فى الالتحام القتالى ، وذكاءه محدود تمامًا ، كما إنه يعانى من هلاوس عظمة لذا رأى التقرير أن يطـرد من الجيش ، بلا معاش ولا أية مزايا .

وقد عرف (جوبال) إن (مايكل) عاد للبيت سعيدًا لأنـه بر بوعده الذى قطعه لـ (جيل) بألا يجعل أى واحد يختفـى . برغم أنه لـو كـان حرًا من هذا الوعد لجعل العـالم مكانـا أفضل . وقد وافقه (جوبال) على هذا الرأى لأنه كان يملك قائمة (أفضل وهو ميت) الخاصة به . إلا أن (مايكل) قد نال بعض المرح برغم هذا ، ففى اليوم الأخير وفى استعراض عسكرى فقد الجنرال ومساعدوه سراويلهم فجأة ، أما الرقيب الذى يرافق (مايكل) فقد سقط على وجهه حينما التصق حذاؤه بالأرض .

كان (جوبال) يؤمن أن هذا ضرورى لـ (مـايكل) لأن الفتى يمر بحالـة طفولـة متـأخرة ، لكن أن يصـير اسـمه (الموقر د. فالنتين مايكل سميث) مؤسس وراعى جماعة (كل العوالم) الدينية ! رباه ! هذا يفوق كل شىء .. والأسوأ أن (مايكل) يقول إنه استوحى الفكرة من مناقشة دارت بينـه وبين (جوبال) .. لا ينكر (جوبال) تلك المناقشة لكنـه لا يستبعد أن يكون قد تكلم فى الموضوع لأن هذه آراؤه فعلاً .

صحا (جوبال) من خواطره على صوت السكرتيرة (ميريام) تخبره أن عربة تهبط فى الحديقة ..

- « هاتى لى البندقية .. لقد أقسمت أن أطلق الرصاص على أول عربة دورية تهبط فوق حوض الورد .. »

- « لكنها تهبط فوق العشب وهى ليست عربة دورية .. »

- « إذن قولى له أن يكرر المحاولة .. فلسوف أصيبه فى المرة القادمة .. »

- « هذا (بن كاكستون) .. »

- « هو ؟ إذن سنتركه يعيش .. هذه المرة .. ماذا تشرب يا (بن) ؟ »

- « لاشىء يا (جوبال) .. فقط أريد أن نتحدث بشكل منفرد .. »

هكذا اتجه الرجلان إلى مكتب (جوبال) بالطابق العلوى . عبر ممر يعج بالتماثيل التى يصر (بن) على أن يسميها تماثيل ويصر (جوبال) على تسميتها (نحت) ..

كان (كاكستون) عازفًا عن الكلام كأنما هو يجد صعوبة فى بدء الموضوع .. هنا أخبره (جوبال) إنه يعانى بعض

المشاكل لأن سكرتيرته (ميريام) تزوجت وحامل ..ومن هذا الرجل السعيد ؟

ـ « أليس الأمر واضحًا ؟ أنه ذلك الرجل ناعم القول .. أخونا المائى (محمود) .. قلت له إنه يجب أن يعيش فى بيتى ما دام فى هذا البلد ، فابتسم الوغد وقال : وأين تحسبنى أنوى العيش ؟ يبدو أننى دعوته منذ زمن للإقامة للأبد فى هذا البيت .. لا بأس .. على الأقل سأظفر منها ببعض العمل .. إنها تدرس العربية بسرعة محمومة كى تصلح لهذا الدور .. بالمناسبة أنا لم أخبرك بشىء حتى إذا أخبرتك هى حرصت على أن تظهر أعنف علامات الدهشة على وجهك .. المشكلة أن هذا البيت يزداد فوضى منذ أفقدت (جيل) (مايكل) توازنه . وصار على أن أفقد سكرتيرات ممتازات وأطفالاً .. ثم رحل (دوك) الذى كان يقوم بكل شىء تقريبًا .. »

ـ « إذن أنت تعتقد أن (جيل) هى التى حامت حول (مايكل) حتى ظفرت به ؟ أنت لا تعرف كيف يعمل عقلها .. »

ـ « لست متأكدًا من أننى أعرف كيف يعمل عقلى أنا نفسى .. وبرغم هذا يعطونك عمودًا فى صحيفة واسعة الانتشار .. أتمنى أن يعود (مايكل) هنا وينسى هذه الجماعة الدينية الغامضة التى كونها .. »

قال (كاكستون) :

- « م م .. الحقيقة يا (جوبال) إنه لا يفعل هذا بالضبط .. لقد جئت لتوى من هناك .. »

- « لماذا لم تخبرنى ؟ »

- « لأنك كنت راغبًا فى التغنى بمآسيك فى الحياة .. ثم أردت أن تثرثر .. لقد عدت من تغطية مؤتمر (كيب تاون) فقررت زيارتهما .. لكن ما رأيته أثار قلقى .. ألا يمكنك أن تتصل بـ (دوجلاس) من أجل وقف هذا النشاط ؟ »

هز (جوبال) رأسه وقال :

- « قبل أى شىء .. لن أفعل .. والآن قل لى ماذا يفعل (مايكل) ؟ »

- « لو رأيت لحاولت منعه معى .. إن (مايكل) يشق بكل ما تقوله أنت ، ولا يسأل عن قراراتك بل لا يفهمها أصلاً .. إنه ينفق مبالغ طائلة من ميراثه .. »

قال (جوبال) :

- « بالعكس .. الفتى لم يسحب مليمًا مما يملكه منذ عام .. إن (دوجلاس) هو المشرف على ثروته كما تعلم .. ولكن ما نشاط هذه الجماعة الدينية التى كونها ؟ »

ـ « هى ليست جماعة دينية بالضبط .. بل هى أقرب إلى مدرسة لغات .. »

ـ « كرر ما قلته .. »

ـ « مدرسة لغات تعلم اللغة المريخية .. »

ـ « اسمع يا (بن) .. بالنسبة للقانون دار العبادة هى دار عبادة طالما قال البعض إنها مهمة لإيمانهم وطقوس عبادتهم .. هناك معابد فى (الملايو) لا يرى فيها الغريب مثلنا إلا مأوى للثعابين .. »

ـ « (مايكل) يربى الثعابين كذلك حرفيًا ورمزيًا .. لكن ما الحدود هنا ؟ »

ـ « دار العبادة حسب القانون لا تطلب أتعابًا لقراءة الطالع أو طرد الأرواح .. لكنها تتقبل الهبات .. أحيانًا تتكفل العادة بتحويل الهبات إلى أتعاب .. القرابين البشرية ممنوعة قانونًا لكنى لست متأكدًا مما إذا كانت لا تمارس على (أرض الأحرار ووطن الشجعان)(*) هذا .. لكن هل يمارس (مايكل) شيئًا قد يودى به إلى السجن أو المشنقة ؟ »

ـ « ربما يتعلم من اتباع (فوستر) كيف يفلت من أى موقف .. لكن المشاكل قد تمس إخوته المائيين .. »

(*) يتهكم على النشيد الوطنى الأمريكى ..

- « هل تعنى أن على أن استعد للمشاكل ؟ هـل يجب أن أحشو ضرسى بالسم تحسبًا لاحتمال اعتقالى ؟ »

- « إن أعضـاء الدائرة الداخليـة يعرفون كيف يفقدون اتحادهم بإرادتهم الخاصة فلا داعى للسموم .. إن المكان الذى أنشأه (مايكل) هو متاهة بها قاعة محاضرات كبيرة وغرف صغيرة للقاءات وغرف للمعيشة .. الكثير منها .. كانت هناك كاميرات وأبواب تفتح أوتوماتيكيًا .. صدقنى لو أن فرقة اقتحام داهمت المكان ما استطاعت الوصـول إلى الداخل .. تصور أن هناك أناسًا يحسبونك تعيش فى منزل غريب الأطوار .. هنا تجد نفسك أمام امرأة موشومة تلتف بأفعى .. يبدو أنها كاهنة أو شىء من هذا القبيل واسمها (باتريشيا) .. »

- « آه .. نعم .. (جيل) حكت لى عنها .. »

- « قالت إنها ستجعل منى أخا ماء لها .. قالت كذلك إنها تتمنى أن يحنطوها حينما تموت ليظل وشمها للأبد تحية لـ (جورج) .. »

- « (جورج) ؟ »

- « زوجها المتوفى .. لكنها تتحدث عنه كأنما هو غادر البيت لفترة قصيرة ليبتاع مشروبًا .. »

18

كانت زيارة (كاكستون) لجماعة (مايكل) زيارة عجيبة حقًا .. لقد اقتادته تلك المرأة (باتريشيا) ـ وهى تضع الثعبان حولها ـ إلى حجرة معيشة كبيرة ، حيث فوجئ بأن هناك أوعية مليئة بالمال .. كانت تحوى مبالغ تفوق تصوره ، وقد رأى ورقة عليها ثلاثة أصفار ملقاة على الأرض بإهمال .. لم يستطع الفهم فقالت له المرأة :

ـ « هذا المال هنا فى حالة ما إذا قرر أحد المقيمين فى العش الخروج والتسوق ، يأخذ ما يريد من مال .. »

ـ « هل تعنين أنه يقبض على رزمة أوراق ويخرج ؟ بهذه البساطة ؟ »

ـ « ليس بيننا من يريد مالاً أكثر من حاجته .. وما الداعى للسرقة ما دام المال ملكنا جميعًا ؟ بل إنه ملكك أنت أيضًا ما دمت أخا ماء لنا .. »

ـ « وماذا عن اللصوص ؟ »

ـ « لقد زارنا بعضهم لكن (مايكل) تكفل بهم .. »

ـ « هل تعنين أنه أسلمهم للشرطة ؟ »

ـ « لا .. لقد جعلهم .. يختفون .. بعد هذا أصلح (دوك) الفجوة التى صنعوها .. سمعت أن عندك فى شقتك بـ (واشنجتون) سجادة تشبه العشب .. (مايكل) حكى لنا عنها .. هل تسمح لى بزيارتك يومًا لأمشى عليها . ألم عليها ؟ »

ـ « بالتأكيد يا (باتى) .. »

قالها وهو يتذكر ما قاله (مايكل) عن شيوعية المال فى المريخ .. لا بد أن هذه الأوعية المليئة بالمال هنا تمثل مرحلة العبور من شيوعية المريخ إلى رأسمالية الأرض . سألها :

ـ « وكم منكم فى العش الآن ؟ »

قالها وهو خائف من أن يجد نفسه مجبرًا على مشاركة أخوة كثيرين فرضوا عليه برغمه ، لكنها قالت :

ـ « دعنى أخمن .. حاليًا هناك اثنا عشر .. أنا و(جيل) كاهنتان ندرس اللغة المريخية هنا .. وقد شرحنا للناس أن هذا لا يتعارض مع إيمانهم .. »

كانت تلبس ثوبًا طويلاً أبيض لا يختلف عن رداء الشهود العدول ، فيما عدا أن عليه علامة (كل العوالم) التى تمثل

تسع دوائر متداخلة ، مع شمس فوق قلبها . وعرضت عليه أن يحضر محاضرة (مايكل) فمشى معها عبر ردهة طويلة إلى قاعة واسعة .. لكن لا محراب ولا مذبح . فقط منصة للمحاضرات وشعار (كل العوالم) على الجدار .. وكانت هناك امرأة تبدو كـ (جيل) وبذات جمالها ، لكنها لم تكن هى .. كانت تدعى (دون أردان) ..

بدأ (مايكل) يتكلم بهدوء ، ولم يكن يرتدى ثيابًا خاصة .. كان يتكلم كأنه بائع سيارات مستعملة بارع .. كان يحكى بعض النكات وبعض القصص ذات المغزى الأخلاقى .. أكثر ما تكلم عنه كان وحدة الوجود **Pantheism** .. كان من ضمن القصص التى حكاها تلك القصة القديمة عن دودة الأرض التى قابلت وسط التربة دودة أرض أخرى فقالت لها : ما أجملك ! هل تتزوجيننى ؟

فقالت الدودة الأخرى : أتزوجك ؟ إننى طرفك الآخر !

وسأل (كاكستون) (جوبال) عند هذا الجزء :

- « هل سمعت هذه القصة من قبل ؟ »

- « سمعتها ؟ أنا الذى كتبها ! »

ـ « لم أعرف، أن القصة قديمة لهذه الدرجة .. كانت فكرة (مايكل) هى إنك حين تقابل مخلوقًا آخر ـ رجلاً أو امرأة أو قطة ـ فأنت فى الحقيقة تقابل طرفك الآخر .. »

قال (جوبال) :

ـ « هذا الخلط بين فلسفة السوليبسيزم والبانثستية .. هذا الخليط يمكن أن يفسر أى شىء ويخفى أية حقيقة .. المشكلة أنه كحلوى غزل البنات .. مذاق بلا مادة .. كأنك تجد حلاً للقصة بأن تكتب : وسقط الصبى على الأرض واكتشف أنه كان يحلم .. »

واصل (كاكستون) سرد القصة ، فقال إن (مايكل) اتجه إلى غرفة أخرى ، تضم أولئك الذين ترقوا إلى الدائرة السابعة من تسع الدوائر .. قال إن (مايكل) بدا أكثر حدة وطولاً ، وإنه كان يرتدى عباءة طويلة .. يقسم (كاكستون) أن عينى (مايكل) كانتا تتوهجان .. هذه المرة كانت هناك موسيقا مخيفة لكنها تجعلك ترغب فى الرقص ، وليس بوسعك أن تعرف ما كان يدور لأنهم كانوا يغنون بالمريخية .

ـ « وهل كل الأمر مجرد مجموعة حمقى يتبادلون الصراخ ؟ »

قال (كاكستون) إن الأمر لم يكن كذلك .. كانوا يتهامسون ثم يتعالى الصوت كأنهم قاموا بهذه البروفة عدة مرات قبل هذا . قال (جوبال) :

ـ « هذا هو الأسلوب (الأبوللونى Apollonian) .. هادئ ومتزن ، لكنه يمكن أن يتحول إلى الأسلوب (الديونيسى Dionysian) الصاخب المنفلت فى أية لحظة .. أنا أرى الأسلوبين وجهين لعملة واحدة .. أكمل »

قال (كاكستون) إن الأضواء كانت خافتة ، لكن (مايكل) راح يؤدى بعض الفقرات الصغيرة المبهرة كأنه حاو فى سيرك ، ولابد أن هذا الفتى يجيد التنويم المغناطيسى ، لأن أسدًا ظهر فجأة وهو ينام فى استرخاء ، بينما يلعب حملان صغيران حوله . لم يكن الأسد يفعل إلا التثاؤب .. لكن هذا كان وهمًا طبعًا ..

ـ « لماذا تصر على أنه وهم ؟ »

ـ « فقط حاولت أن أكون ملاحظًا ذكيًا .. وقد جلست أراقب هذا كله فى استمتاع ، بينما (مايكل) يجرب بعض حيل رفع الأجساد . أعتقد أنه يتعامل مع صور تلفزيونية مجسمة .. ثم انطفأت الأضواء وعادت ، وهذه المرة كانت (جيل) هناك .. ومع كلمات (مايكل) كان لون ثوبها يتغير مع كل كلمة .. »

دنت من (بن كاكستون) وقالت له فى دفء :

ـ « أيها العزيز .. لقد افتقدتك كثيرًا .. »

قال لها :

ـ « لقد تقدم (مايكل) كثيرًا .. أحسبه قادرًا الآن على أن يبيع أحذية للثعابين .. »

ـ « أنا متأكدة من أنه يستطيع لكنه لن يفعل لأن هذا خطأ .. الثعابين لا تحتاج لهذا .. نحن بحاجة إلى أن تكون معنا هنا .. أفهم grok أنك بحاجة إلى بعض الوقت للفهم .. ربما بعد أسبوعين أكرر السؤال نفسه .. »

ـ « لن أكون هنا بعد أسبوعين .. فأنا مشغول جدًا .. »

قالت له :

ـ « ليس هذا معبدًا لأن هذا يناقض المفهوم المريخى للأمور .. نحن لا نحاول إنقاذ أرواح الناس لأننا نؤمن بأن الأرواح لا تضيع .. ما نقدمه هنا هو الحقيقة .. نعرضها على الناس ولا نطلب منهم أن يصدقوها .. نحن نقدم الحقيقة العملية المفيدة كأنها رغيف من الخبز .. عملية لدرجة تجعل من الحرب والجوع والعنف أشياء لا داعى لها .. لكن

لا بد أولاً من تعلم اللغة المريخية .. هذا هو الجزء الصعب فى الأمر .. الموسيقار لا يمكنه كتابة سيمفونية باستعمال اللغة الإنجليزية .. لكن (مايكل) ليس متعجلاً .. إنه يرى المئات لينتقى منهم العشرات .. وهكذا يزداد عدد الأتباع فى هذا العش .. ويومًا ما سيكون بعضنا متدربين جيدًا بحيث يصير بوسعهم الخروج وبدء أعشاشهم الخاصة .. وبهذا تبدأ كرة الجليد .. »

هنا جاءت المرأة الأخرى (دون) وقدمت له طبقًا فيه طعام العشاء .. ضايقه أنها جلست جواره لا أمامه لأنها كانت بارعة الجمالِ ..

قالت المرأة :

ـ « لسنا مدربين جيدًا بعد .. مثلاً نحن هنا نأكل بينما (مايكل) لم يأكل منذ عشرين ساعة ، ولن يأكل طالما هناك من يحتاج إليه .. »

هنا قالت (جيل) :

ـ « هل لاحظت أننى و(دون) صرنا متشابهتين جسديًا من حيث المقاييس والوزن والطول ؟ بمساعدة (مايكل) صرنا شبيهتين ولسوف نبقى كذلك .. لقد جاء هذا نتيجة أننا نقوم بذات الأشياء ونفكر فى ذات الأمور .. »

قال (جوبال) :

ـ « حقًا لقد تغير الصبى كثيرًا .. »

قال (كاكستون) :

ـ « لا أعتبره صبيًا بعد اليوم يا (جوبال) .. »

* * *

صحا (بن) من نومه علجزًا عن تبين أين هو .. ولا كيف قضى ليلتـه .. فقط أخبرته معدته أن وقتًا طويلاً قد مر منذ موعد الإفطار ..

اتجه إلى المطبـخ ففوجئ هنـاك بـ (دوك) الذى كـان خـادم (جوبال) .. وهو فى الوقـت ذاتـه حـارس بيتـه والبستانى والميكانيكى ..

احتضنـه (دوك) كأنـه دب ثم صفعه على ظهره وهتف :

ـ « (بن) .. وجهك يريح العيون المتقرحة .. جميل أن أراك ! كيف تحب أن تأكل البيض ؟ »

ـ « وهل أنت الطاهى ؟ »

ـ « فقط حينما لا أجد من يؤدى لى هذا الدور كما هو الحال الآن .. كلنا نمارس الطهـى هنـا .. حتـى (مـايكل) .. لكن (مايكل) أسوأ طاه فى العالم .. »

ثم بدأ يكسر البيض فى طبق ..

قال له (بن) :

ـ « تول أنت أمر التوست والقهوة .. سأكمل الطهى .. وماذا تفعل هنا يا (دوك) إلى جوار الطهى ؟ »

ـ « سأكون كاهنًا يومًا ما .. لكنى بطىء كما تعلم .. أتعلم اللغة المريخية وأصلح ما يفسد هنا .. »

ـ « لا بد أن هذا مجهود كبير مع مكان بهذا الحجم .. »

ـ « سوف تندهش لو رأيت مدى قلة العمل المطلوب منك .. إن (مايكل) يعالج مشاكل السباكة .. لكن ٩٠٪ من الأجهزة فى هذا البيت منحصرة فى المطبخ .. »

جلسا يأكلان ، هنا سأله (دوك) :

ـ « أنت باق معنا .. أليس كذلك يا (بن) ؟ »

ـ « لا أعرف كيف يمكننى ذلك .. »

ـ « لا تقلق .. سوف تعود .. لا تتخذ قرارات قبل طقوس الماء الليلة .. أنت تعرف أننا من الدائرة الأولى .. »

ـ « دائرة أولى ؟ »

ـ « الذين صاروا إخوة ماء لـ (مايكل) من دون أن يحتاجوا لتعلم المريخية .. هناك من تعلموا المريخية وصاروا يفكرون بها .. أنا متأخر عنهم لأننى جئت العش متأخرًا لكن لا حاجة بى إلى تعلم المريخية على كل حال .. »

هنا دخلت (جيل) المطبخ فحيت (بن) .. وأشارت إلى أدوات طعام فارتفعت فى الجو لتستقر أمامه .. قال لها منبهرًا :

ـ « يبدو أنك تعلمت شيئًا أو شيئين من هذه الحيل .. »

قالت فى دهشة :

ـ « أنا ؟ لا .. أنا مجرد بيضة فى هذا العش .. »

ـ « وكيف فعلت هذا ؟ »

ـ « همست به بالمريخية .. أولاً يجب أن تفهم الشىء .. ثم تفهم ما تريد له أن يكون .. (مايكل) .. نحن هنا ! »

دخل (مايكل) المطبخ واتجه نحو (بن) فصافحه ..ثم أوقفه على قدميه وهتف :

ـ « جميل أن أراك يا (بن) .. »

ـ « وأنا مسرور بوجودى هنا .. »

ـ « ونحن سنلوى ذراعك لنرغمك على البقاء معنا .. ماذا عن ثلاثة أيام لا أكثر ؟ »

ـ « أنا مشغول جدًا يا (مايكل) .. »

ـ « سنرى .. الجميع هنا متحمس من أجل الحفل الذى سنقيمه لك الليلة .. »

كان (مايكل) يلبس ذات الحلة التى رآه بها أمس .. لكنه لا يلبس حذاء وقد جلس على أريكة وجذب (بن) ليجلس جواره . وقال :

ـ « أنا مدين لك أنت و(جوبال) و(جيل) أكثر من أى شخص على هذا الكوكب ، وبرغم هذا أنت هنا منذ أمس ولم أستطع إلا أن أرحب بك الآن .. تبدو لى مكتمل اللياقة .. »

بدأ (مايكل) يتكلم عن تفاصيل حفل الليلة .. تفاصيل غامضة .. يبدو الأمر كأنه نوع من الاحتفال شبه الدينى كما كانت القبائل القديمة تفعل ..وبدأ (بن) يشعر بقلق عارم ..

هذا الجو العام لا يريحه بل يثير توتره ..

لا يعرف متى ولا كيف شعر بأنه موشك على فقدان التحكم فى معدته ..

ولا يعرف ما فعله بعد ذلك .. كان يركض نحو الباب ..

★ ★ ★

19

قال (جوبال) :

- « ماذا فعلت عندئذ ؟ »

- « هربت فورًا .. من دون أن ألفظ كلمة الوداع حتى كدت أقتل نفسى فى أنبوب الارتداد .. أنت تعرف تلك الأنابيب .. »

- « بل لا أعرفها .. »

- « ما لم تضبطها على مستوى ارتفاع معين فأنت تغوص عندما تقفز عليها .. لكنى لم أغص بل سقطت من على ارتفاع ستة طوابق .. لكن حينما حسبت أننى قمت بآخر خطأ لى بدأ أنبوب الغاز يهبط ببطء .. لا بد أن (مايكل) طور هذا الاختراع .. »

- « لن أستعمل إلا الدرج العادى أو المصعد فى حياتى كلها .. »

- « الشخص الوحيد المسئول عن السلامة هناك هو (دوك) وبالنسبة له كل ما يقوله (مايكل) مقدس .. (جوبال) .. أنا أرى أن هذا المكان مندفع كله نحو كارثة بسبب رجل واحد .. (مايكل) .. »

ـ « باختصار .. ماذا يسبب لك المغص فى هذا كله ؟ »

ـ « هل تقبل هذا المجتمع العجيب فى غرفة معيشتك ؟ »

ـ « القضية هنا هى أن هذا لا يحدث فى غرفة معيشتى .. بل يحدث عند (مايكل) فى بيته وهو حر .. فما شأننا نحن ؟ حينما تدخل بيت رجل فعليك أن تقبل أسلوب إدارته للدار . هذا قانون عالمى للسلوك المتحضر .. ثم إن رد فعلك كان بطيئًا .. أنت زرتهم وجلست معهم ثم خرجت لتقول إنك لم تحب ما رأيت .. فى رأيى كان عليك أن تعلن هذا النفور منذ اللحظة الأولى لدخولك ، لا أن تنتظر حتى تستمتع بوقتك ثم تعلن هذا .. وأرى أن خطأ (مايكل) هو أنه لم يتبين نفورك من هذا كله ، لكنى أرى أنه يحمل نقطة ضعف هى ثقته بكل إخوته المائيين .. »

قال (كاكستون) :

ـ « يقولون إنهم يرحبون بك فى أى وقت .. يقول (مايكل) إنك ما زلت تحمل بعض الطهر .. »

قال (جوبال) :

ـ « للأسف لا أعتقد أننى أحتفظ بأى طهر مزعوم بعد عقود

من الصراع والتلوث بالحضارة .. حتى لو نقعنى فى ماء الإخوة هذا فلن أصير نظيفاً .. (مايكل) ينظر لى فيرى انعكاسه الشخصى .. أى أننى فى الحقيقة لا ألعب معه إلا دور المرآة .. لكن لا غبار عندى على ما يقوم به الفتى .. »

- « هل تعتقد هذا ؟ »

- « تذكر إن (مايكل) ليس مثلنا .. إنه رجل المريخ .. أى أنه لم يبدأ ذات البداية مثلنا ، وهكذا لا أمل فى أن نغير وجهة نظره للحياة .. لكن هؤلاء الفتية لن يغيروا العالم .. لقد حدثت أشياء كهذه من قبل وفى كل مرة كان العالم يصاب بحكاك شديد كأنما أنت لسعته بحمض .. كل مجموعة ناشئة لاقت معاملة مماثلة .. بل إننى أجد رائحة سنسكريتية فى كل هذه الطقوس ومنها طقوس (الأرض - الأم) هذه .. وهو شبيه إلى حد ما بمجتمع (أونيدا Oneida) الذى انشأه المهاجرون الأمريكيون الأوائل فى (وسكونسين) .. كلهم بدأ بالطريقة ذاتها .. آمال عظمى .. أفكار عالية .. الحب بدلاً من الحرب .. ثم الفشل المحتوم .. حتى القوم فى الإسكيمو قبل أن نختلط بهم كانت لهم مجتمعاتهم الخاصة .. حتى أنهم كانوا أقرب إلى (رجال من المريخ) هم أنفسهم ، ثم جئنا نحن فانتشرت بينهم الفيروسات والزنا .. »

ـ « لا أرغب فى أن أكون إسكيمو .. شكرًا لك .. »

ـ « ولا أنا .. إن السمك النيئ الفاسد يصيبنى بالغثيان .. لكن برغم هذا وبرغم عدم الاستحمام فإن الجميع قالوا إن الإسكيمو أسعد ناس عرفتهم الأرض .. قبل هذا كنت قلقًا على (مايكل) لكنى اليوم قلق على الجميع .. إن التقدم فى السن لا يمنح الحكمة ، لكنه يمنحك رؤية واسعة للأمور. »

ـ « أنت عبقرى إذ تشعر بالقلق فقط .. أما أنا فأشعر أن كل هذا خطأ .. و(مايكل) يؤمن بأنه يعلم الحقيقة كما عرفها من (الكبار القدامى) .. »

ـ « (الكبار القدامى) .. ما زلت أشعر بأن هؤلاء القوم ليسوا أكثر من فضلات المطبخ التى تقدم للخنازير .. إن أسوأ الخطاة طرًا هو ذلك الذى يستخدم الدين أداة لابتزاز الناس .. لكن (مايكل) يثق فى هؤلاء (الكبار القدامى) على كوكب المريخ .. إنه لا يحاول ابتزاز أحد ، بل يحاول نقل أفكاره مستعملاً أساليب مألوفة كما قلت لك ، وحتى عروض الحواة هذه .. ماذا أعرفه عن هذه الأمور ؟ ما أعرفه أنا هو أن الوعى بذاتى ليس مجرد مجموعة من الأحماض الأمينية متحدة معًا ! لكنى آخذ عليك أنك قضيت معهم هذا الوقت ولم

تحاول فهمهم .. أنت تحب (جيل) لكنك لم تكرس لها الوقت الذى تكرسه لسياسى فاسد .. ليس عشر الجهد الذى بذلته هى لاستردادك حينما خطفوك .. »

- « وماذا ترى ؟ »

- « أرى أن تعود لهم وتحاول فهمهم أكثر .. لن يلوموك على رحيلك المفاجئ بل سوف يستقبلونك بأذرع مفتوحة .. أراهنك على هذا بألفى دولار .. »

وبعد أربع وعشرين ساعة حول (بن) ألفى دولار لـ حساب (جوبال) المصرفى .

★ ★ ★

20

الجزء الخامس

عن قدره السعيد

وصل الكبار القدامى على المريخ إلى حل لمشكلة عويصة تتعلق بالجماليات ، وفى الوقت ذاته - وبلا استعجال - نسوا أمر الفرخ الغريب الذى أعادوه إلى أهله وعالمه الأصلى ، لأنه لم يعد ذا أهمية لهم . وقد قرروا بشكل جمعى أنه بدأ التقصى والبحث بما يلزم تلك الحاجة الفنية لتدمير الأرض يومًا ما . لكن الكثير من الانتظار حتمى قبل أن يصلوا لقرارهم النهائى .

على الأرض غمرت الفيضانات (كاماكورا) بسبب نشاط زلزالى يبعد عن (هونشو) بـ ٢٨٠ كيلومترًا . فتكت الموجة بـ ١٣٠٠٠ نسمة وحملت طفلاً رضيعًا إلى أعلى تمثال (بوذا) حيث وجده الرهبان فيما بعد . وقد عاش هذا الطفل ٩٧ عامًا بعد تلك الكارثة التى أودت بأسرته الأرضية ، أما هو فلم ينجب ولم يخلف ذرية . والتحقت الدوقة (سينثيا) بالدير محدثة جلبة إعلامية كبرى ، لكنها تركته بعد ثلاثة أيام .

أما السكرتير العام (دوجلاس) فقد أصابه الفالج مما جعله عاجزًا عن استعمال ذراعه اليسرى لكنه ظل قادرًا على مواصلة عمله .

أما سفينة الفضاء الاستكشافية (مارى جين) فقد هبطت على كوكب (بلوتو) ، وهبطت حرارة الجو فى (كولورادو) إلى أقل معدل لها فى فبراير . وظهرت بعض فضائح الفساد المتعلقة ببعض الجماعات الدينية العجيبة فى الجنوب . وقد قال المدعى العام إنه لا يستطيع عمل شىء .. وإنه بحاجة لأقصى دعم من السلطات الدينية هناك ، فقالوا له :

ـ « سوف تنال الدعم الذى تريده .. »

وفى الشمال لم يكن (جوبال هيرشو) يعرف بشىء من هذا .. وبرغم مبادئه فإنه بدأ يخضع لتأثير ذلك العقار الماكر : معرفة الأخبار . لقد اشترك فى خدمة صحفية تمده بالأخبار عن (مايكل) لكنه اضطر بعد هذا إلى أن يطلب وضع تليفزيون مجسم فى مكتبه .. رباه ! لماذا لا يرسل له هؤلاء الفتية خطابًا من حين لآخر بدلاً من تركه فريسة التساؤلات ..

قال بصوت عال :

ـ « أول الصف ! »

سمع (آن) قادمة لكنه واصل النظر إلى خارج النافذة حيث الجليد ، وحوض السباحة الخالى ، ثم قال :

- « (آن) .. ابتاعى لنا جزيرة مرجانية صغيرة فى المناطق الاستوائية واحرصى على بيع هذا الضريح .. »

- « ليكن يا ريس .. هل من شىء آخر ؟ »

- « فقط تأكدى من عقد الإيجار قبل أن نعيد هذا المكان للهنود .. . فأنا لا أطيق الفنادق .. اكتبى ما يلى .. »

ثم بدأ يمليها :

- « الحنين إلى الشتاء قد صار جليدًا فى فؤادى ..

« شظايا المواثيق التى تم تحطيمها تدمى روحى ..

« وأطياف النشوة التى غابت من زمن ، تبقينا بعيدًا ..

« الندوب والأوتار الممزقة وبقايا الأطراف المبتورة ..

« وعيناى اللتان تحترقان ، بينما الضوء فيهما يخبو ..

« كلها لا تضيف شيئًا إلى آلام الانتظار هنا وحدى ..

« أضواء الحمى تبحث عن وجهك الحبيب ..

« وما زالت أذناى الممزقتان ترجعان صوتك فى رأسى ..

« لا أهاب الظلمة المقبلة على وقد دنا الموت ..

« لكنى أهاب الموت لأن معناه فقدك .. »

ثم أضاف :

- « هكذا . وقعيها باسم (لويزا م . ألكوت) .. واجعلى الوكالة ترسلها إلى مجلة (توجزرنس) .. حاليًا هى لا تساوى شيئًا لكنها ستكون ثمينة فيما بعد .. أرسليها لوكيلى وتأكدى من أنها ستفى بتكاليف دفنى .. هذه مشكلة الأعمال الأدبية كلها .. العمل الجيد يحققِ أعلى سعر له حينما يصير دفع أتعاب المؤلف مستحيلا .. الحياة الأدبية ! أن تحك فراء القط حتى يصدر هريرًا ! »

قالت السكرتيرة فى تهكم :

- « (جوبال) المسكين لا يشفق عليه أحد لذا يشفق هو على نفسه .. »

- « سخرية فحسب .. لست مندهشًا من أننى لا أنال منكن أى عمل هنا .. »

- « ليست سخرية يا ريس .. فقط لابس الحذاء يعرف أين تتألم أصابع قدمه .. »

ـ « أعتذر .. والآن اكتبى هذه . العنوان : واحدة للطريق ..

« ثمة سلوى فى عقدة المشنقة ..

وراحة فى الفأس ..

لكن السم يريح أعصابك أكثر ..

هناك نهاية فى طلقة المسدس وجهاز التعذيب ..

لكن السم يعطيك تلك النهاية المحببة .

إن أقرب كيميائى يملك السلام فى عبوات جاهزة ..

قد تجد الراحة فى ساحة الكنيسة ..

لكن قد يمنحك إياها السم الذى يصفه لك دجال كريم ..

بصوت أنين .. وصرخة (آى) .. وركلة بالكعب ..

يأتى الموت بهدوء أو يأتى صارخاً ..

لكن أفضل طريقة للموت هى قدح تقدمه لك يد صديق .. »

قالت (آن) فى قلق :

ـ « (جوبال) .. هل معدتك مضطربة ؟ »

ـ « دوماً .. »

- « إلى أية جريدة أرسل هذه ؟ »

- « إلى (نيويوركر) .. »

- « سيرفضونها .. »

- « بل سيقبلونها .. إنها قصيدة مريضة سقيمة ولسوف تروق لهم .. »

- « بالإضافة لهذا الوزن الشعرى مختل .. »

- « نعم .. لا بد من أن تعطى الناشر ما يغيره وإلا أصابه الإحباط .. بعد ما يتبول على القصيدة سوف يحبها ويشتريها منك .. لقد ظللت أتجنب العمل الشريف قبل مولدك بفترة طويلة فلن تعلمينى هذا الآن ..بالمناسبة لماذا لم تحضرى ابنتك الرضيعة (آبى) معكِ ؟ »

- « إنها مع (دوركاس) الآن تعنى بها .. لا أريدها أن تسمع ما تقوله أنت حتى لا تفسد أخلاقها ، فأنت ذو تأثير مفسد بأفكارك .. بالإضافة لهذا ستكف عن العمل وتلعب معها .. »

- « هل لديك طريقة أفضل لملء الساعات الخاوية ؟ »

- « أنا ألاحظ أنك لا تنتج منذ فترة .. ولهذا سوف تصاب بالإمساك الروحى .. أجلس أنا و(دوركاس) نقضم أظفارنا

بانتظار أن تصيح أنت : أول الصف .. من ثم نثب فى حماس .. لكن غالبًا ما يتضح أن هذا إنذار زائف .. »

ثم أضافت :

ـ « أنت تخدع نفسك .. كلنا نعرف أن (مايكل) يستطيع العناية بنفسه.. أنت قلق بشأنه .. كل هذه الصحف التى تقرؤها عنه ونشرات الأخبار .. »

ـ « كيف عرفت أننى عدت لقراءة الصحف ؟ »

ـ « يا ريس لا بد من أن يتخلص أحد من القمامة .. هل حسبت أن (لارى) لا يجيد القراءة ؟ لو كنت قلقًا بصدد خادمك السابق (دوك) فلترسل لـ (مايكل) كى يعيده لك .. »

قال لها فى مرارة إنه لن يجرؤ على ذلك .. ثم خطر له شىء مؤلم فقال :

ـ « هل ما زلتن تعملن عندى لأن (مايكل) طلب منكن هذا ؟ »

ـ « نحن هنا لأننا نحب العمل هنا .. (جوبال) .. أحيانًا أتمنى لو كنت صغير السن بما يسمح لى بضربك على مؤخرتك .. هل يمكن أن أنهى كلامى ؟ »

لكنه كان يفكر .. (ميريام) سافرت مع زوجها إلى (بيروت) وأنجبت طفلة اسمها (فاطمة ميشيل)(*) .. فهل هذا تعبير عن إخلاصها لـ (مايكل) أم أنه زوجها (محمود) يرسل تحية لصديقه المخلص ؟

ـ « أنت لا تصغى لى .. »

سوف تظل فى هذه الخواطر حتى تفقد اتحادك لكن من دون كرامة .. سوف تفقد صفاء ذهنك بالتدريج .. لم لا تذهب إلى الدرج التاسع فى الصيدلية وتأخذ حبتين من الدواء الذى كتب عليه (Lethe) ـ نهر النسيان ـ .. ربما كانت حبة واحدة كافية ..

ـ « لا حاجة بك إلى قراءة الصحف لأننا نعرف (مايكل) قبل أن يعرفوه هم .. لكن لن يؤذى أحد (مايكل) .. لو أنك زرت العش ورأيت ما رأيناه .. »

ـ « لم يدعنى أحد .. ولم يطلب منى (مايكل) هذا .. »

ـ « لم يدعنا أحد لكننا ذهبنا .. لا أحد يدعى لزيارة داره الخاصة .. مثلما لا يحتاج (مايكل) إلى دعوة كى يأتى هنا .. لكنك تخدع نفسك يا (جوبال) .. أنت مكتئب اليوم لأن (مايكل) قد اعتقل ، لكن هذا حدث أكثر من .. »

(★) ميشيل ومايكل وميخائيل وميجيل هم الاسم ذاته ..

ـ « أعتقل ؟ لم أسمع بهذا من قبل ! ماذا يجرى هنا .. »

ـ « (جوبال) .. (بن) لم يتصل طالبًا العون .. هذا كاف .. لقد اعتقل (مايكل) مرارًا .. فى الجيش .. فى الكرنفال .. لكنهم لا يستطيعون أن يدينوه بشىء وهو لا يؤذى أحدًا ، لذا يطلقون سراحه على الفور .. »

ـ « وما التهمة هذه المرة ؟ »

ـ « الهراء المعتاد .. النصب .. إنشاء جمعية غير مقننة .. استضافة صغار السن فاقدى الأهلية . لا تقلق .. بعد سلسلة اتهامات سوف تسقط التهم ويزداد الزحام حول الدائرة الخارجية .. »

ـ « هل تعتقدين أن (مايكل) ينسج هذه التهم حول نفسه ؟ »

نظرت له فى دهشة ورأى فى عينيها نظرة لم يرها من قبل :

ـ « (مايكل) لم يكذب قط يا ريس .. »

ـ « لم أتكلم عن الكذب .. لكن بوسعه أن ينسج إشاعات حول نفسه مما لا يمكن إثباته فى المحاكم .. »

ـ « هل تحسب (مايكل) يفعل هذا ؟ »

- « لا أعرف .. فقط أعرف أن أسوأ طريقة للكذب هى أن تقول القدر المطلوب من الحقيقة فى الوقت المناسب ثم تسكت .. على كل سأنسى الموضوع إلى أن يتبين أنه لا يستطيع العناية بنفسه .. هل ما زلت (أول الصف) ؟ »

- « لو كففت عن خنق ابنتى (آبى) تحت ذقنك مع ترديد عبارات سخيفة مثل (كوتشى كو) .. فإن بوسعى أن أحضرها الآن وأواصل العمل معك وإلا أيقظت (دوركاس) من نومها .. »

- « هاتى (آبى) .. سوف أردد عبارات سخيفة جديدة تمامًا هذه المرة .. »

وضع الطفلة على حجره ، حتى بدأت الطفلة تبتسم .. هنا بدأ يملى على أمها :

- « العنوان هو (البنات كالأولاد) .. ابدئى .. كان (هنرى افرشام) الرابع يؤمن أن البنات نوعان .. نوع موجود أمامه ونوع ليس كذلك .. وكان يفضل الطراز الأخير خاصة حين يبقين كذلك .. فقرة جديدة .. كان .. ماذا تريد بحق الجحيم ؟ ألا ترانى أعمل ؟ »

قال (لارى) الخادم :

ـ « سيدى .. »

ـ « أخرج من هنا .. »

ـ « سيدى .. لقد احترقت جمعية (مايكل) الدينية ! »

اندفع الاثنان بلا نظام إلى غرفة (لارى) .. و(آن) تحمل طفلتها .. ومن بعيد هرعت (دوركاس) وقد أيقظها الصخب ..

ـ « .. منتصف ليلة أمس .. ما ترونه هو المدخل الرئيس لمعبد الجماعة كما بدا بعد الانفجار .. هنا مراسلكم من شبكة (نيوورلد) فى نشرة أخبار الصباح .. والآن لحظة مع هذا الإعلان .. »

هنا غاب مشهد الانفجار لتظهر ربة بيت جميلة ..

صاح (جوبال) :

ـ « تبًا يا (لارى) .. فك هذا الاختراع السخيف وأدخله إلى المكتب .. (دوركاس) .. اتصلى بـ (بن) .. »

ـ « أنت تعرف أن البناية هناك ليس بها هاتف .. »

- « إذن اطلبى رئيس الشرطة .. لا .. المدعى العام .. تقولين إن (مايكل) كان فى السجن ؟ »

- « نعم .. »

- « أتمنى أن يكون ما زال فيه ومعه الباقون . »

وفى غرفة المكتب كان الهاتف يدق بالحاح .. كاد (جوبال) ينزع القابس ثم قرر أن يرد ..

كان هذا (بن كاكستون) الذى ظهر على الشاشة :

- « مرحبًا يا (جوبال) .. »

- « (بن) ! ماذا حدث ؟ »

- « أعرف أنك عرفت الأخبار لذا اتصلت لأريحك .. كل شىء تحت السيطرة .. »

- « هل تأذى أحد ؟ »

- « لا أحد .. (مايكل) يريد أن أخبرك .. »

- « لا أحد ؟ لقد بدا الأمر .. »

- « أسمع يا (جوبال) .. لا بد من أن أجرى مكالمات أخرى فلست أنت الوحيد القلق ، لكن (مايكل) طلب أن أهاتفك أولاً .. »

- « حسن .. سأصمت .. »

- « لم يتأذ أحد .. مليونان من الدولارات لخسائر غير مؤمن عليها .. كان المكان ضد الحريق لكن أى شىء يحترق فى النهاية لو استعملت كمية كافية من الجازولين والديناميت .. »

- « سآتى حالاً .. »

- « (مايكل) يقول لك ألا تقلق .. لو أردت أن تأتى فلتفعل ولكن فقط كرحلة ترفيه .. لقد أشعل أحدهم النار بينما المبنى خال لأن أكثرنا كان معتقلاً .. وبعضنا كان فى محراب داخلى يتبادل طقوس شرب الماء .. لقد متنا جميعًا .. »

- « ماذا؟ »

- « كلنا تم تصنيفنا موتى أو مفقودين .. لم ير رجال الحكومة شخصًا حيًا يغادر البناية من أى مخرج .. »

- « هل هى حيلة الساحر من جديد ؟ »

- « إن (مايكل) له طريقته الخاصة فى ترتيب هذه الأمور .. لن أناقش هذه الأمور عبر الهاتف .. »

- « تقول إنه ما زال فى السجن ؟ »

- « نعم .. لو جئت هنا فلا تقصد المعبد لأنه مغلق .. لقد انتهى أمرنا فى هذه المدينة .. لن أخبرك أين نحن ولن أطلبك من هناك ثانية .. لو أردت أن تأتى وأنا لا أرى ضرورة لهذا فلتأت بشكل طبيعى ونحن سنجدك .. »

ثم أظلمت الشاشة ..

قال (جوبال) فى غيظ :

- « توقعت هذا .. تلك اللعبة خطيرة جدًا .. استدعى لى سيارة أجرة يا (دوركاس) وأنت يا (لارى) أعد لى حقيبة صغيرة .. (آن) انتهى من تغذية طفلتك ثم احضرى لى كل المال السائل هنا ، وعلى (لارى) أن يقصد المدينة غدًا ليحضر بعض المال .. »

قالت (آن) :

- « لكن يا ريس .. نحن جميعًا ذاهبون .. »

- « أغلقى فمك .. ليس هذا زمن حق التصويت للنساء .. (لارى) .. ستبقى هنا وتحمى السيدتين والطفلة حتى أعود أنا .. هذه المدينة صارت خط مواجهة .. إن هناك رابطًا بين المعبد هناك وهذا البيت .. (لارى) .. شغل الإضاءة طيلة الليل وكهرب السور .. لا تتردد فى إطلاق النار .. ولا تتباطأ فى أن تضع الجميع فى القبو عند الضرورة .. »

بعد نصف ساعة كان (جوبال) وحده فى جناحه وجاء (لارى) يخبره أن سيارة الأجرة قد وصلت ..

ـ « أنا آت .. »

وألقى نظرة على تمثال Caryatid (امرأة تقف كعمود يحمل السقف) من التماثيل العديدة فى داره .. فامتلأت عيناه دموعًا وقال :

ـ « لقد حاولت أيتها الشابة .. أليس كذلك ؟ لكن العمود كان ثقيلاً عليك .. ثقيلاً على الجميع .. »

ثم لمس يد التمثال واستدار مبتعدًا ..

* * *

21

كانت رحلته سيئة .. وقد فعل التاكسى الأوتوماتيكى كل ما توقعه (جوبال) منه ، فحدثت له مشاكل فى الهواء ثم اتجه إلى الصيانة من تلقاء نفسه . وهكذا وجد (جوبال) نفسه فى (نيويورك) بعيدًا عن المكان الذى أراده . وتأخر عن الموعد الذى قرره عدة ساعات وتعامل مع غرباء (وهو ما يكرهه) وأرغم على مشاهدة التليفزيون المجسم (وهو ما كرهه أكثر) .

لكنه رأى فى التليفزيون أسقفًا يشن حربًا شعواء مقدسة على الشيطانى - يعنى (مايكل) طبعًا - ورأى مشاهد عديدة للبناية مما جعله مندهشًا لأن أحدًا نجا من هذا .. وكان رأى المعلق أن (مايكل) بالذات هو المسئول عما حدث .

هكذا فى نهاية الرحلة وقف (جوبال) يرمق أشجار النخيل فى الأفق التى ما زالت تبدو له كالريش ، ومن خلفها المحيط الذى رآه كتلة قذرة غير متماسكة من الماء . وقد تلوث بقشور الجريب فروت والفضلات البشرية .

دنا منه رجل فى زى رسمى وقال :

- « تاكسى يا سيدى ؟ »

- « نعم .. »

كانت خطته هى أن يجد غرفة فندق ، ثم يتصل بالصحافة التى ستنشر خبر مجيئه . هذه مزية مهمة لكونك شهيرًا . هكذا سوف يجده (بن) بسهوله .

اقتاده الفتى نحو عربة تاكسى صفراء ثم وضع حقيبة (جوبال) داخلها وقال :

ـ « أمنحك الماء .. »

هتف (جوبال) :

ـ « هه ؟ دعك لا تظمأ أبدًا .. »

وسرعان ما انطلقت سيارة الأجرة قاصدة شقة فى فندق على الشاطئ ، وهبطت على مهبط غير الذى يستعمله نزلاء الفندق . وأخذ السائق حقائب (جوبال) واقتاده للداخل . وقال :

ـ « ما كان بوسعك أن تمر عبر الرواق .. لأن هناك الكثير من ثعابين الكوبرا المتوترة عصبيًا .. لو أردت الخروج للشارع اسأل أحدهم أولاً .. أنا أدعى (تيم) .. »

ـ « (جوبال هيرشو) .. »

ـ « أعرف يا أخى (جوبال) .. من هذا الطريق .. »

ودخلا جناح فندق فاخرًا واسعًا .. واقتيد (جوبال) إلى غرفة نوم ذات حمام . ووضع (تيم) حقائب (جوبال) على الأرض بينما وجد هذا الكثير من زجاجات الماء والكئوس .

جاءت امرأة تحمل صحفة عليها شطائر . وأدرك (جوبال) أن ما ترتديه هو الزى الرسمى للفندق . ابتسمت له وقالت :

ـ « أشرب بعمق ودعك لا تظمأ أبدًا .. يا أخانا .. »

ثم فتحت المياه لتملأ المغطس وسألته :

ـ « هل تريد شيئًا آخر يا (جوبال) ؟ »

ـ « أنا ؟؟ لا .. لا .. سأنظف نفسى ثم أستعد .. هل (بن كاكستون) هنا ؟ »

ـ « نعم .. لكنه قال إنك سترغب فى الاستحمام أولاً .. اسمى (باتى) .. »

ـ « المرأة الموشومة التى رسمت عليها قصة حياة (فوستر) ؟ »

هزت رأسها أن نعم وغادرت المكان ..

راح (جوبال) يستحم مزيلاً عرق وغبار السفر . جعله

الماء الدافئ يرغب فى النوم ، لكنه كان راغبًا فى رؤية (بن) بسرعة . بحث فى الثياب التى أعدها (لارى) وانتقى بنطالاً قصيرًا وصندلاً .. بدا كأنه طائر نادر سقط عليه دلو طلاء .. وقد بدت بوضوح ساقاه المشعرتان النحيلتان ..لكنه كف عن القلق على منظره منذ عقود .. فقط يتذكره كلما اضطر لمغادرة داره إلى المحكمة ..

اتجه إلى بهو الفندق الذى كان مريحًا ، لكن فيه ذلك الطابع المفتقر للخصوصية المميز لكل الفنادق .. كان بعض الناس يقفون حول جهاز تلفزيون مجسم .. أكبر واحد رآه فى حياته فلما رآه (بن) جاء إليه هاتفاً :

ـ « مرحبًا (جوبال) .. »

ـ « مرحبًا (بن) .. ما الموقف ؟ هل (مايكل) ما زال فى السجن .. ؟ »

ـ « لا .. لقد خرج فور أن أنهيت مكالمتى معك .. »

ـ « آه .. بانتظار المحاكمة .. هل دفع كفالة ؟ »

ابتسم (بن) وقال :

ـ « كلا يا (جوبال) .. لم يطلقوا سراحه ولكنه هرب ! »

ـ « يا للسخف ! الآن صارت القضية أعقد تسع مرات ! »

ـ « لا تعقد الأمور .. قلت لك إننا سنترك هذه المدينة وإن أكثرنا فى عداد المفقودين . »

ـ « سوف يسلمونه من ولاية أخرى .. أين هو ؟ »

ـ « إنه على بعد غرفتين من هنا ، لكنه منزو على نفسه فى التأمل ..لو أردت أن نناديه فهذا ممكن .. »

لكن (جوبال) رأى أن هذا غير لائق .. يشبه أن يزعجه أحدهم أثناء كتابة قصة .. إن الصبى يغرق فى تلك السنات ثم يفيق منها وقد (فهم الكليات) .. يمكن الانتظار لوقتها .. إن إزعاجه الآن يشبه إزعاج دب فى بيات شتوى ..

فجأة رأى أمامه سكرتيرته (آن) تضحك فجلس جوارها وهتف :

ـ « هل من حقى أن أسأل ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم ؟ »

ـ « مرحبًا يا ريس .. أفعل ما تفعله أنت .. لا شىء .. لا تكن ثقيلاً يا (جوبال) لأننا لم ننفذ أوامرك .. هذا المكان يخصنا مثلك .. كنت فى حال عصبية منعتنا من مجادلتك ، لذا انتظرنا حتى رحلت أنت ولحقنا بك .. والآن اسمع ما يقال

عنا .. يقول الشريف إنه سيطردنا خارج المدينة .. أنا لم أطرد من مدينة من قبل .. لا بد أن هذا مثير .. ترى هل يضعونك على قضيب قطار أم تضطر للمشي(*) ؟ »

ـ « لا أعرف البروتوكول هنا .. وأين ابنتى الروحية ؟ أريد أن أراها .. »

ـ « فورًا .. لكنها وجدت مربية كذلك .. إن (باتى) تعنى بها .. »

كانت (باتى) هى الوحيدة التى تبدو منهمكة وسط هؤلاء .. وقد لحقت بهما وقالت :

ـ « معذرة .. إن لدى أطفالاً كثيرين فى غرفتى .. أضعهم هناك كى تتعود (هانى بان) عليهم ! »

بعد قليل أدرك فى ذعر ما تعنيه .. إن ثعبان البوا هناك فى المهد مع الأطفال !

قالت له (باتى) :

ـ « تعال أيها الأب (جوبال) لترى الأطفال وتراها .. داعبها قليلاً حتى تعتادك وتفهمك Grok فى المرة القادمة .. »

(*) تقصد أسلوب الطرد من مدن الغرب قديمًا : قطران وريش ، ثم يوضع المطرود على قضيب قطار يحملونه عليه إلى خارج المدينة ..

فى المهد الذى تحول إلى عش داعب (جوبال) طفلته ثم الثعبان الذى رأى أنه أجمل (بوا) عاصرة رآها فى حياته . وقد حسد (باتى) على امتلاكها هذا الحيوان رائع الجمال . هنا هتفت (باتى) وهى تتفقد حفاضة طفل :

- « لماذا لم تخبرينى يا (هانى بان) ؟ إنها تخبرنى كلما بلل أحد الأطفال حفاضته .. لا تستطيع عمل شىء طبعًا لأنها بلا يدين ، لكنها تسند الأطفال برأسها كلما أوشكوا على السقوط من المهد .. لكنها لا ترى شيئًا خطأ فى طفل يبلل نفسه .. »

- « أفهم .. ومن الطفلة الأخرى ؟ »

- « إنها (فاطمة ميشيل) .. ألم يخبرك أحد ؟ »

- « إذن هما هنا ؟ كنت أعرف أنهما فى (بيروت) .. »

- « لقد عادا من بلد أجنبى ما .. كل الأماكن تتشابه عندى فأنا لم أغادر البلاد قط .. »

طلبت منه أن يغنى بالطفلة الأولى فحملها بين ذراعيه ، وراح يخبرها كيف أنها أجمل فتاة فى الكون ، ثم حمل الأخرى وفعل الشىء ذاته .. كان صادقًا فى المرتين وقد صدقته الطفلتان على الفور .. طالما قال هذا للفتيات وفى كل مرة كان يعنى ما يقول .. كأن هذه حقيقة عليا لا علاقة لها بالمنطق ..

ما إن قابل (ميريام) حتى وضعت يدها على بطنه وهتفت :

- « مرحبًا يا ريس .. معذرة . كنت أطمئن على أنهم يحسنون تغذيتك ..على فكرة أنا حامل .. لقد اتصل بنا (مايكل) فى (بيروت) وأخبر (محمود) بذلك ، وطلب منا أن نلحق به .. فى اليوم التالى طلب (محمود) من الجامعة إجازة أو استقالة . أى شىء .. وها نحن ذان هنا .. »

- « وماذا تفعلان ؟ »

- « نعمل .. نعمل عملاً شاقًا يا ريس .. إن (محمود) يعد مع (مايكل) أول قاموس للغة المريخية .. »

- « قاموس إنجليزي / مريخى ؟ لا بد أن هذا عسير.. »

بدت الصدمة على (ميريام) وهتفت :

- « عسير ؟ لا .. إنه مستحيل .. لم يوجد شىء كهذا قط .. إن دورى فى العمل هو السكرتارية .. أطبع ما يطلبون منى .. إنهما قد كونا أبجدية تتكون من ٨١ صوتًا .. هل ستحبنى الآن يا ريس ؟ »

اقترح (بن كاكستون) أن يقصدا مكانًا أكثر هدوءًا .. هكذا اتجها إلى ممر جانبى صغير ..

قال (جوبال) :

ـ « يبدو أنكم تسيطرون على الفندق بالكامل .. »

ـ « أكثره .. أربعة أجنحة .. السكرتارية .. الجناح الرئاسى والملكى .. لا يمكن الوصول لها إلا عن طريق المهبط الخاص بنا أو ممر ليس صحيًا جدًا .. أحسبك تلقيت إنذارًا بصدده ؟ »

ـ « نعم .. لكن كيف تتحاشون الشرطة فى مكان عام كهذا ؟ يمكن لخدم الفندق وحدهم أن يفضحوا أمركم .. »

ـ « الخدم لا يصلون هنا .. لقد ابتاع (مايكل) هذا الفندق عبر سلسلة من الإجراءات الوهمية .. وقد أعطاه (دوجلاس) المال الذى طلبه دون أن يسأل عن السبب .. إن (دوجلاس) لم يعد يكرهنى بالقدر ذاته منذ استولى (كيلجالين) على عمودى الصحفى ، لكن (دوجلاس) ما زال لا يثق بى .. إن الفندق استثمار برىء ويجلب مالاً .. لكن مالكه على الأوراق هو واحد من أعضاء الدائرة التاسعة السرية .. يطلب المالك أن يبقى هذا الطابق بالكامل لضيوفه الخصوصيين ، من ثم لا يجرؤ المدير على الاعتراض .. إنه يحب عمله ويريد

الحفاظ عليه .. دعك من أن (مايكل) يدفع له أكثر مما يستحق .. إنه مخبأ مناسب حتى يقرر (مايكل) إلى أين يذهب بعد هذا .. »

- « لكنه كان فى السجن حينما وقع الانفجار .. »

- « آه .. كان هناك ولم يكن .. جسده كان فى السجن ، وفى حالة انسحاب .. لكنه كان معنا .. هل تفهم ؟ »

- « لا .. لا أستوعب .. »

- « حينما وقع الانفجار أنقذنا وجاء بنا هنا ، ثم عاد لينقذ الأشياء الصغيرة التى تستحق الإنقاذ .. لن تفهم .. ربما لو كنت معنا لفهمت .. »

ثم رأى نظرة الحيرة على وجه (جوبال) فقال :

- « الانتقال عبر المسافات .. ما الصعب فى ذلك يا (جوبال) ؟ هذه ليست معجزات ما لم يكن الراديو نفسه معجزة .. أنا لا أفهم الراديو لكننى سأفهمه لو رحت أدرس الإلكترونيات بإمعان .. ليست هذه معجزات .. الصعب فى الموضوع هو تعلم اللغة المناسبة .. »

- « وهل تنقل أنت الأشياء عن بعد ؟ »

- « أنا ؟ لا .. هذا ليس ضمن مناهج الحضانة .. (باتى) هى الوحيدة التى تعلمت الانتقال عن بعد بسهولة .. صدقنى .. لسنا بحاجة إلى (مايكل) .. لا أعنى هنا أننى أتخلى عنه .. فقط أردت القول إن بوسع أى منا أن يصير (الرجل من المريخ) .. »

- « بدأت أفهم .. »

- « مثل النار .. كانت دائمًا موجودة لكن رجلاً جعل الأخرين يعرفونها .. (مايكل) هو (برومثيوس Prometheus) .. لكنه مجرد رجل مثلنا يعرف الكثير .. »

فكر (جوبال) وقال :

- « (برومثيوس) دفع ثمنًا باهظًا بسبب تعليمه النار للناس .. »

- « و(مايكل) كذلك يقضى أربعًا وعشرين ساعة كل يوم يعلمنا كيف نلهو بالثقاب من دون أن نحترق .. »

كان الناس يأتون ويرحلون طيلة الوقت .. كانوا صامتين يتحركون بخفة وصمت .. كأنهم يؤدون أدوارًا مرسومة لهم .. وخطر لـ (جوبال) أن هذا يذكره بشىء ما .. الجراح البارع ؟ حيث لا توجد حركة واحدة زائدة أو مفاجئة ؟ ثم تذكر شيئًا منذ عدة أعوام ..

فى الماضى حينما كانت الصواريخ الكيميائية هى التى تجوب الفضاء ، سنحت له فرصة أن يرى عدًا تنازليًا .. الآن يذكر ذات الأصوات الخفيضة وردود الفعل المسترخية لكن المنسقة بعناية . نفس التوقع القلق إذ يقترب العد من نهايته . لم هم سعداء هكذا ؟ لقد هدم مقرهم لكنهم سعداء كأطفال ليلة الكريسماس ..

أما ما لاحظه فعلاً فهو أجمل وأكثف شلال من الشعر الأسود رآه فى حياته ، وكان على رأس شابة جاءت وتكلمت مع أحدهم ، ثم ابتعدت .

قال له (بن) وقد لاحظ نظرته :

- « هذه (روث) .. الكاهنة الجديدة .. كانت هى وزوجها ينشئان جمعية جديدة فرعية فى الساحل الغربى .. يبدو أن الأسرة كلها ستلتقى هنا مثلما كان يحدث فى عشاء الكريسماس فى الماضى .. بالمناسبة هى قد جاءت بقربك خصيصًا كى تلقى نظرة عليك ! إنهم معجبون بك لكنهم يخافونك نوعًا .. »

- « يخافوننى ؟ »

- « نعم .. (مايكل) قال لهم إنك الرجل القادر على الفهم Grok من دون أن تتعلم المريخية .. لهذا يحسبونك تقرأ الأفكار .. يبدو أنهم يحسبونك تلتهم الأطفال والأرض

ترتج حينما تزأر .. يتمنون أن تناديهم لكنهم لـن يـأتوا مـن تلقاء أنفسهم .. يعرفون أنك الرجل الوحيد الذى يقف أمامه (مايكل) باحترام ويطلق عليه (سيدى) .. »

ـ « لحظة .. هناك شخص أريده .. (جيل) .. (جيل !) »

استدارت المرأة فى تردد وقالت :

ـ « حسن .. أنا (دون) لكن شكرًا لك .. »

ثم دنت منه وركعت على ركبة واحدة ولثمت يده قائلة :

ـ « أبى (جوبال) .. نرحب بك ونشـرب منـك حتى الأعماق .. »

انتزع يده منها وقال :

ـ « بالله عليك يـا طفلتـى .. انهضـى واجلسـى معنـا .. فلنتبادل الماء .. »

ـ « حسن أيها الأب .. »

ـ « ونادينى (جوبال) .. أخبرى الجميع أننـى لا أحب أن أعامل كمجذوم .. أريد أن أنادى (جوبال) وأن أكون أخـا مـاء لا أكثر .. مـن يعاملنى بـاحترام سيضطر للبقـاء بعـد المدرسة .. grok ؟ »

قال (بن) :

- « إنهم يشاهدون التليفزيون المجسم الآن .. لقد هدم (مايكل) سجن الولاية ليهرب .. هم اتهموه بكل تهمة عرفها القانون باستثناء الاعتداء على تمثال الحرية .. لهذا قرر أن يمنحهم بعض الأشياء المذهلة التى يعتبرونها معجزات .. لقد انتزع كل باب وكل قضيب حديدى فى سجن الولاية من مكانه ، وجرد رجال الشرطة من ثيابهم وسلاحهم .. السبب الأول هو أنه أراد أن يشغلهم .. السبب الثانى هو أن (مايكل) يكره سجن أى إنسان لأى سبب كان .. يرى الكثير من الخطأ فى هذا .. »

- « وكيف كانت استجابة السلطات ؟ »

- « العمدة هناك وهو يرغى ويزبد .. وقد طلب العون من القوات الفيدرالية وناله .. هناك قوات قادمة للولاية لكن (مايكل) لن يتوانى عن تجريد هؤلاء من أسلحتهم وثيابهم قبل أن يخفى عرباتهم من الوجود .. »

هنا دخل د. (محمود) القاعة ..

قال له (جوبال) فى مرارة :

- « كان بوسعك على الأقل أن تفضل بإخبارى بأنك فى

هذا البلد ، بدلاً من أن أقابل ابنتى الروحية للمرة الأولـى فى ضيافة ثعبان .. »

- « أوه يا (جوبال) .. دائمًا أنت فى عجلة لعينة .. »

قال (جوبال) :

- « فى سنى يكون من الضرورى أن .. »

هنا توقف وقد وضعت يدان على عينيه من الخلف وقال صوت أنثوى :

- « خمن من ؟ »

- « (بعلزبول) .. »

- « خمن ثانية .. »

- « (جيليان) ! كفى عن هذا وتعالى لتجلسى بجوارى .. »

- « نعم يا أبى .. »

وواصل الكلام مع (محمود) :

- « كنت أقول إنه فى سنى يغدو كل صباح جوهرة ثمينـة لأنك قد لا ترى المساء أبدًا .. لهذا يجب أن تكون متعجلاً .. وأنتما كدتما تحرماننى رؤية ابنتى الروحية (فاطمة ميشيل) لـذا كان شبحى سيعود ليطاردكما للأبد .. »

قالت (جيل) :

ـ « لماذا تتكلم عن الموت يا ريس ؟ لست قريبًا منه بعد . »

ـ « أنا أضع ثلاث سنوات كحد أقصى لى .. بعدها أفقد اتحادى على الطريقة المريخية أو أموت على الطريقة الأرضية الفظة .. »

وعلى مائدة العشاء كان من الغريب على (جوبال) أن يلقى د. (نلسون) نفسه .. الطبيب الذى كان يتابع حالة (مايكل) منذ جاء إلى الأرض .. وقد وجده يستعمل نفس المصطلحات ويدعو لتبادل طقوس شرب الماء ..ودار كأس من الماء على المائدة .. يشرب منه كل واحد جرعة ثم يناوله لجاره ..

كانت الفتاة على يساره قليلة الكلام ، لكن الرجل إلى يمينه كان ثرثارًا ، وكان كريم المحتد مثقفًا وهما صفتان يقدرهما (جوبال) لو لم تؤديا إلى خلق ببغاء مغرورة .. قال الرجل الذى كان يدعى (سام) :

ـ « سوف يحاربوننا بكل قسوة .. لا يوجد مجتمع مهما بلغ تحرره يقبل أن يتم تحديه بلا عقاب .. ونحن فى الحقيقة نتحدى كل شيء حتى قوانين الملكية .. »

ـ « حتى الملكية ؟ »

ـ « لو اقتنع بمبادئنا أى مدير مصرف فلسوف يفلس المصرف ، ولن يعود هو فى عمله .. تصور ما يحل بالسوق لو عرف المساهمون ما سيحل بالأسهم بالضبط من ارتفاع أو انخفاض ؟ ماذا سيحل بوسائل المواصلات حينما تصير وسيلة الانتقال هى النقل عن بعد ؟ بل فكر فى التعليم .. كيف تعلم صبيًا يعرف أفضل منك ؟ ماذا عن الطب يوم يختفى المرض من العالم ؟ ماذا عن تعليم النباتات ؟ أن تتعلم الأعشاب ألا تنمو .. ماذا يبقى من مهنة الفلاحة ؟ »

ثم تذكر شيئًا فأضاف :

ـ « هل تعرف أننى كنت مصابًا بالسرطان حينما جئت هنا ؟ »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « لم أكن أعرف .. لكن (مايكل) فهم هذا وأرسلنى لأجرى بعض الأشعات لأتأكد .. ثم رحنا نتعامل معه معًا .. العلاج الروحى .. الطب السريرى يطلق على هذا اسم (الشفاء التلقائى spontaneous remission ومعنى هذا أننى شفيت .. »

قال (جوبال) :

- « من المعروف طبيًا أن بعض أنواع السرطان تشفى تلقائيًا ، ولا نعرف سببًا لذلك .. »

- « أنا أعرف لماذا شفى هذا .. كنت قد بدأت أتعلم التحكم فى جسدى .. أصلحت الخطأ بمعاونة (مايكل) .. الآن أستطيع عمل هذا من دون عونه .. هل تريد أن أوقف لك قلبى ؟" »

- « لا شكرًا .. لقد رأيت هذا مع (مايكل) مرارًا .. »

- « أشعر أنك تفهم الكثير برغم ما تقول .. أتساءل عما لديك لتعلمنا إياه لو أنك تعلمت المريخية .. »

- « لا شىء فعلاً .. أنا مجرد رجل مسن .. »

- « أنت لا تحتاج إلى تدريب من أى نوع .. ما لم ترد أن تمسح صلصة السباجيتى من على وجهك من دون منشفة .. وهو ما لا أحسبك تواقًا له .. »

بعد العشاء نهض الرجلان قاصدين غرفة أكثر هدوءًا .. وقال (سام) :

- « كنت أقول إن كل هذه المتاعب متوقعة ، وعلينا انتظار

المزيد قبل أن نغير قسمًا أكبر من الرأى العام ليتحملنا .. لكن (مايكل) لا يتعجل الأمر .. سوف نغلق معبد (كل العوالم) ونذهب لمكان آخر لنشيد (طائفة الإيمان الواحد) .. حتى يطردونا ثانية .. ثم نفتتح معبد الهرم الأكبر .. لقد بدأ (مايكل) هنا منذ عام . وكان غير متأكد من هذا الذى يقوم به ، وبمعاونة ثلاث كاهنات .. من ثم صار العش صلبًا .. ويومًا ما سنصير أقوى .. هل أنت متعب ؟ هل تريد أن أجعلك غير مرهق أم تفضل أن تذهب للنوم ؟ لو لم تفعل لأبقاك إخوتنا طيلة الليل يتكلمون .. تعرف أننا لا نظفر بقسط كاف من النوم .. »

- « أعتقد أننى أفضل الفراش ، وثمانى ساعات من النوم .. سوف أقابل الإخوة الآخرين غدًا .. »

هكذا اقتادته (باتى) إلى غرفة نومه وهيأت له الملاءات من دون أن تلمسها ، ثم أعدت له بعض المشروبات جوار الفراش .. وقد قدر أن (باتى) على قدر من الخبال لكنها لطيفة .. كان يفضل الناس الذين على قدر من الخبال .. يعتبرهم (ملح الأرض) .. إنها على كلٍ حال الدليل الحى على أن المرء لا يجب أن يكون عاقلاً كى ينعم بالقدرات المريخية التى علمها الصبى للجميع ..

قال لها أن تقبل ابنتيه الروحيتين لأنه نسى ذلك فقد كـان مرهقًا ..

- « واربتى لى على الثعبان العزيز (هانى بان) .. »

قالت له :

- « سأفعل ذلك .. إنه يفهمك يا (جوبال) ويعرف أنـك تحب الثعابين .. »

قرر أن يحلق ذقنـه حتى لا يضطر لذلـك قبـل الإفطار ثـم أحكم غلق الباب وأطفأ نـور الحجـرة .. يحـث عن شـىء يقرؤه لأنه كان قد أدمن هذه الرذيلة فلم يجد ، ولم يحب أن يخرج ثانية ليزعج أحدهم .. هكذا أطفأ نور الفراش ..

* * *

22

نهض (جوبال) فى الصباح منتعشًا مستريحًا .. ومنذ أعوام طويلة لم يشعر بأنه رائق البال فى تلك اللحظات السوداء بين الاستيقاظ وأول قدح من القهوة .. حينما كان يعزى نفسه بأن الغد قد يكون أفضل ..

•

راح يرقب نفسه فى المرآة ، ثم مد يده وانتزع شعرة بيضاء من صدره ، غير مبال بشعرات أخرى عديدة هناك .. ثم بدأ يتأهب للقاء العالم ..

حينما خرج من الحجرة وجد (جيل) هناك .. قالت له :

ـ « أيها العزيز (جوبال) .. نحن نحبك .. »

كان المكان يفوح برائحة حماس وترقب لا تخفى عليه .. ربما لم يشعر بهذا الشعور من قبل إلا حينما كان طفلاً ينتظر موكب السيرك ، حينما صاح أحدهم :

ـ « ها هى ذى الأفيال ! »

نفس الشعور يشعر به الآن .. لكنه لا يرى مبررًا له لأنه لا يوجد موكب أصلاً ..

قالت له (جيل) :

ـ « (مايكل) فى حالة انزواء لكنه سيعود منها ليستقبلك ..

الكل منشغل الآن لأن (مايكل) يحاول تسجيل أصوات القاموس المريخى الذى يحلم به .. أنا قمت بجزء من إعداد القاموس على حين يقوم د . (محمود) بتحويل الأصوات إلى حروف إنجليزية يمكن تقليدها ، على أننى انسحبت فقط لأقول لك صباح الخير .. »

على مائدة الإفطار وجد بيضًا وعصير برتقال فبدأ يأكل ، وكان على وشك الانصراف حينما رأى أمامه رجل المريخ .. وسرعان ما احتضنه هذا الأخير وقبله :

- « أبى (جوبال) ! »

حرر (جوبال) نفسه بلطف من العناق وقال :

- « اكبر يا بنى .. اجلس وتناول إفطارك ولسوف أجلس بجوارك .. »

- « لم آت طلبًا للطعام بل جئت من أجلك أنت .. تعال نجد مكانًا نتكلم فيه .. »

وانتحيا جانبًا فجلب (مايكل) لأبيه مقعدًا مريحًا ، بينما تمدد هو على أريكة أمامه .. وكان فى الغرفة رجل وامرأة سرعان ما تركا لهما المكان فى صمت وتنسيق تام .. وهكذا صارا وحيدين فيما عدا أن الشراب راح يقدم لـ (جوبال) من دون

ساق .. وخطر له أن التحريك عن بعد الذى يمارسه هؤلاء القوم يوفر الوقت والمال .. كان (مايكل) يكره المشروبات الروحية لأنه يراها مجرد طريقة لممارسة (فقدان الاتحاد) من دون فقدان اتحاد حقيقى .. وهو يفعل الشىء ذاته بشكل أفضل عن طريق الانسحاب الذى يمارسه من حين لآخر .. وهو أرخص كذلك !

سأله (جوبال) :

ـ « سمعت أنك تجمع التبرعات لهذه الجماعة .. »

قال (مايكل) :

ـ « فى الحقيقة كان المال دومًا أكثر مما نحتاج إليه .. لكنى أجعل الناس يدفعون لأن الناس لا تنظر بجدية أبدًا إلى أى شىء لا تدفع مالاً للحصول عليه .. »

ـ « هذا صحيح .. »

ـ « أنا أفهم الزبائن منذ كنت أعمل فى الكرنفال .. نحن البشر نحتاج لوقت طويل وجهد كبير قبل أن نتلقى منحة مجانية ونقدرها حق قدرها .. فى العادة لا أطالب الناس بهذا قبل أن يصلوا إلى الدائرة السادسة .. هنا فقط يتعلمون كيف يقبلون ويأخذون . إن القبول أصعب بكثير من العطاء .. »

قال (جوبال) :

- « هم مَن يا بنى .. أظنك يجب أن تكتب كتابًا عن سيكولوجية البشر .. »

- « فعلت .. لكنه بالمريخية .. بل اضطررت كى أصل إلى البشر أن أتظاهر بـ أن ما أقدمه لهم ذو طابع دينى .. أنشأت جماعة دينية سرية والحقيقة أن ما أعلمه لهم لا علاقة له بالدين .. إنه محاولة لجعلهم يفكرون بالمريخية .. »

- « لكنى أرى أن هناك ما يضايقك برغم كل ما ترسمه من سعادة .. »

قال (مايكل) وهو يتأمل كأس الماء الذى فى يده :

- « نعم .. أنت البشرى الوحيد الذى أعرف أنه قادر على أن يستوعبنى Grok .. إن (جيل) تستطيع لكن لو كنت أتألم فإنها تتألم معى .. لهذا أكره أن أشاركها آلامى .. »

وبدا غارقًا فى التفكير :

- « الاعتراف مهم للمرء .. الكاثوليك عرفوا هذا وفهموه وكونوا نظامًا كاملًا يقوم على الاعتراف .. جماعة (فوستر)

أدخلوا نظام الاعتراف .. أنا كذلك بحاجة إلى إدخال شىء كهذا هنا .. إن الطيبة وحدها لا تكفى .. لقد جربت ذلك .. عند المريخيين الطيبة والحكمة هما الشىء ذاته .. ليس هذا هو الحال هنا .. مثلاً عندما قابلت (جيل) كانت طيبة لكنها كانت مضطربة فى أعماقها ، وقد كدت أدمرها لأنى أنا نفسى كنت مضطربًا .. لكن صبرها ـ وهو شىء نادر على هذا الكوكب ـ هو الشىء الوحيد الذى أنقذنى .. الطيبة وحدها لا تكفى .. لا بد من حكمة باردة قاسية للطيبة كى تحقق الخير .. الطيبة بلا حكمة تؤدى حتمًا إلى الشر .. لهذا طلبتك هنا يا أبى .. لهذا أريدك .. لهذا أريد أن أعترف لك .. »

ـ « بالله عليك يا (مايكل) لا تصنع فيلمًا سينمائيًا من هذا .. فقط قل لى ما يضايقك ولسوف نجد حلاً .. »

ثم فكر قليلاً :

ـ « هل ضايقك تدمير مقر الجماعة ؟ أنت ثرى ويمكنك بناء بناية أخرى .. »

ـ « كلا .. البتة .. »

ـ « هـه ؟ »

ـ « لقد كان المعبد مفكرة امتلأت كل صفحاتها .. الآن

حان وقت شراء مفكرة أخرى بدلاً من الكتابة على ما سبق .. لقد أفادتنا النار .. ومن وجهة نظر دعائية فإن ما تم ملفت للنظر إلى حد أنه سيفيدنا على المدى البعيد .. لكن ما أريد قوله يا أبى هو أننى عرفت فى اليومين الأخيرين أننى جاسوس ! »

- « ماذا ؟ أوضح كلامك .. »

- « للكبار القدامى .. لقد أرسلونى هنا للتجسس على قومى ! »

فكر (جوبال) فى الأمر ثم قال :

- « (مايكل) .. أعرف أنك عبقرى وأن لديك قوى لا أملكها ولم أرها قط ، لكن يمكن أن يكون المرء عبقريًا وبرغم هذا يهلوس .. »

- « أعرف .. دعنى أشرح أولاً .. هل تعرف كيف تعمل أقمار المسح الفضائى التى تستعملها قوى الأمن ؟ »

- « لا »

- « أعنى الخطة العامة .. هذه الأقمار تدور حول الكرة

الأرضية وتلتقط المعلومات وتخزنها .. عند نقطة بعينها تسكب هذه العين السماوية كل ما اختزنته .. هذا ما تم معى .. تعرف أننا فى العش نستعمل التليباثى .. »

ـ « أرغمت على أن أصدق فى وجوده .. »

ـ « على فكرة هذه المحادثة خاصة بيننا ، ولن يحاول أحد من الموجودين قراءة أفكارك . ليكن .. أنا مجرد بيضة فى هذا الموضوع بينما الكبار القدامى أساتذة .. لقد ظلوا مربوطين بى وإن تركونى حرًا .. تجاهلونى ثم ضغطوا على زنادى فانطلق سيل من كل ما رأيت وسمعت وعرفت إلى سجلاتهم .. لا أعنى أنهم مسحوا الشريط .. فقط صنعوا نسخة منه .. ثم قطعوا الاتصال فلم أستطع حتى الاحتجاج .. »

ـ « هذا غريب .. يبدو لى أنهم استعملوك بقسوة .. »

ـ « ليس بمقاييسهم .. كنت سأقبل هذا بحماس تطوعًا لو عرفت به قبل تركى المريخ ، لكنهم لم يريدوا لى أن أعرف .. أرادوا أن أفهم Grok بلا تدخل منهم .. »

ـ « حتى لو كنت قد نقلت لهم كل شىء طيلة عامين ونصف ، فما خطر هذا ؟ ماذا حدث ؟ وما أهميته ؟ »

هنا حكى له (مايكل) كل شيء عن قيام شعبه بتدمير الكوكب الخامس من (سول) لتحويله إلى كويكبات(*) ..

- « حسن يا (جوبال) ؟ »

- « لا أعرف .. هذا يبدو كالأساطير .. »

- « (جوبال) .. تدمير الكوكب الخامس من (سول) دقيق تاريخيًا كانفجار بركان (فيزوف Vesuvius) عندكم وهو مدون بتفصيل أكبر .. »

- « هل تعنى أن القدامى الكبار ينوون معاملة الأرض بالمثل ؟ اسمح لى أن أقول إننى لا أبتلع هذا .. »

- « لماذا يا (جوبال) ؟ لا تحتاج إلا إلى فهم بسيط لقواعد الفيزياء وكيفية تماسك المادة . أشياء كالتى رأيتنى أفعلها مرارًا .. مثلاً لو اخترت مساحة فى قلب الكوكب .. كبيرة لكنها تسمح بألا يكون الأمر مؤلمًا .. أستوعبها أولاً ثم .. »

وتلاشى تعبير وجهه وانقلبت عيناه لأعلى .. فهتف (جوبال) :

- « هيه ! توقف ! لا أعرف إن كنت تستطيع أم لا لكن بالتأكيد لا أرغب فى أن تحاول ! »

(*) لم نختصر شيئاً .. هكذا القصة تتحدث عن موضوع تدمير هذا الكوكب (لأغراض جمالية فنية) فى تلميحات لا أكثر .. (سول) هى الشمس طبعًا ..

- « لن أفعل هذا ، فأنا بشر .. »

- « جميل .. والآخرون ؟ »

- « الكبار القدامى يرون هذا نوعًا من الفن .. نوعًا من الجمال .. »

- « أسمع يا بنى . أنت تتكلم عن هؤلاء الكبار القدامى ببساطة كأنما أنت تتكلم عن كلب الجيران .. لكنى لا أبتلع هذا .. كيف يبدون بالضبط ؟ »

- « مثل أى مريخى .. فيما عدا أن الفارق بين المريخى البالغ والصغير كبير جدًا .. السؤال نفسه سخيف .. لكن لنفرض أنك شهدت موت صديق لك ، ثم جاءك يتكلم ويجلس معك .. هل تؤمن عندئذ بالأشباح ؟ »

- « أؤمن بالأشباح أو بجنونى أنا .. »

- « حسن .. على المريخ نرى رأى العين أن الأشباح هى الفئة الأهم والأكثر عددًا بين سكان الكوكب .. والأحياء لا دور لهم إلا خدمة الكبار القدامى .. »

- « ليكن .. لن أجادلك .. أنت تخشى إذن أن يدمرنا قومك ؟ »

- « يدمروننا أو يقومون بغزونا ثقافيًا ليجعلوا منا نسخة منهم .. بالنسبة لهم نحن قوم معوقون .. فشلنا فى فهم بعضنا البعض .. حروبنا وأمراضنا وقسوتنا .. كل هذا عته بالنسبة لهم .. بالنسبة لهم تدميرنا سيكون نوعًا من القتل الرحيم .. لكن لو تم هذا فلن يحدث قبل خمسمائة عام كحد أدنى .. ربما خمسة آلاف سنة .. »

- « هذا وقت كثير جدًا كى يتوصل المحلفون إلى قرار .. »

- « المريخيون لا يتعجلون بينما البشر متعجلون دومًا .. »

- « إذن لا تقلق يا بنى .. لو ظل الإنسان بعد خمسة آلاف عام عاجزًا عن مقاومة جيرانه فليس بوسعى أنا أو أنت عمل شىء .. »

فى هذه اللحظة رأى (جوبال) عربة شرطة طائرة تهبط من النافذة على سطح الفندق ، ثم تلاشت فى لحظة قبل أن تلمس السطح .. سأل (مايكل) :

- « هل ثمة مشكلة ؟ »

- « لا تقلق .. هم فقط يرتابون فى وجودى هنا لكن قائدها لم يجد الوقت الكافى ليبلغ عنا .. فى البداية كانت (جيل) تخاف

هذا الذى أفعله قبل أن تفهمه بدقة .. لا يمكن قتل الإنسان .. ما أقوم به يشبه إخراج الحكم للاعب ارتكب خطأ فى المباراة . »

- « كم رجلاً اضطررت لإخراجه من المباراة حتى تفر من السجن ؟ »

- « عدد كبير .. ربما ١٥٠ شخصًا .. ربما .. لم أحاول العد .. لكنى أخشى أننى اضطررت للقسوة فى تعاملى وهذا يحيرنى .. أخشى أن أكون سببت تعاسة إخوتى الذين تبعونى .. »

- « كيف ؟ »

- « هم متفائلون .. يشعرون بالسعادة ويعرفون ذلك .. وكم يحبون بعضهم البعض .. يحسبون الأمر مسألة وقت إلى أن يصل كل الجنس البشرى لنفس درجة الجمال .. لقد نسيت أن البشر ليسوا مريخيين .. لقد ارتكبت هذا الخطأ عدة مرات وكنت أصحح نفسى .. المنطق الذى يتعامل به المريخيون لا يعمل هنا .. المفاهيم مختلفة لذا النتائج مختلفة ..

« مثلاً لا أفهم .. إذا جاع الناس فلماذا لا يقبل بعضهم

أن يذبحوا ليأكلهم الآخرون ؟ على المريخ هذا مفهوم وواضح .. بل هو شرف .. مثلاً لا أفهم لماذا تعنون بالأطفال هكذا .. لو كانت الطفلتان على المريخ لتم إلقاؤهما خارج البيت لتعيشا أو تموتا .. تسع من كل عشر حوريات تموت .. هذا ما لم أفهمه على الأرض .. على المريخ لا يتنافس البالغون أبدًا بينما هنا على الأرض يتنافسون .. »

هنا أدخل (دوك) رأسه وقال :

- « (مايكل) .. هل تراقب الخارج ؟ هناك زحام حول الفندق .. »

وافقه (مايكل) :

- « أعرف .. قل للآخرين إن الانتظار لم ينته بعد .. »

ثم عاد يواصل كلامه :

- « أحيانًا أعتقد أن الفهم الكامل سيقودنى لقبول حقيقة أن البشر يجب أن يظلوا تعساء متحاربين .. فقط من أجل الغربلة التى لا بد أن يمر بها كل جنس .. قل لى يا أبى .. يجب أن تخبرنى .. »

- « من الأحمق الذى قال لك يا (مايكل) إننى لا أخطئ ؟ »

- « كلما سألتك عن شيء وجدت لديك الإجابة .. وفى كل مرة يتضح أن رأيك صائب .. »

- « أنت تفقد صبرك بسرعة .. هذا لا يتفق مع السلوك المريخى .. أنت جربت مع عدد قليل ، ودعنى أقل لك إن هذه أكثر مجموعة بشر سعيدة متمتعة بالصحة عرفتها .. فقط أنتظر حتى يصير أتباعك بالآلاف وعندها دعنا نناقش الأمر ثانية .. »

* * *

23

انطلق (جوبال) ورجل المريخ نحو غرفة المعيشة التى يتوسطها التليفزيون المجسم العملاق . كان العش كله هناك يراقبه . وقال :

- « هم قادمون .. الآن يأتى الفهم الكامل .. »

وتزايد جو التوقع المتحمس الذى شعر به (جوبال) منذ جاء هنا .. قال (مايكل) :

- « حان الوقت .. إلى بثياب مناسبة .. »

قال (جوبال) لـ (مايكل) وهو يرقب الشاشة :

- « يا بنى .. هذه المجموعة من الدهماء تبدو لى قبيحة .. هل ترى من المناسب أن تخرج لتتفاهم معهم ؟ »

- « حتمًا .. لقد جاءوا ليرونى ولسوف أذهب للقائهم .. »

ورلحت الثياب توضع عليه بمساعدة النسوة غير الضرورية .. غير الضرورية لأن كل قطعة ثياب كانت تعرف لأين تذهب بالضبط ..

- « هذه العملية لها مزاياها وعليها مسئولياتها .. يجب أن يظهر نجم العرض للمشاهدين .. هل تفهم ؟ زبائن الكرنفال يتوقعون هذا .. »

ـ « لم أثق قط بالدهماء .. »

ـ « هم يلحثون عن الحقيقة .. نعم بعضهم من أتباع (فوستر) وحاقد على لكنى قادر على السيطرة على الجميع .. أين قبعتى ؟ لا أستطيع المشى فى شمس الظهيرة من دون قبعة .. »

وانزلقت قبعة فوق رأسه فقال :

ـ « كذا .. هل أبدو حسن المظهر ؟ »

كان يلبس الآن بذلة بيضاء وحذاءين يتسقان معها .. بالإضافة إلى كوفية أنيقة . أما (آن) فوضعت عباءة الشهود العدول مما جعلها تبدو وقورًا ..

اتجه الجميع إلى الرواق المشترك لكل أجزاء الفندق .. واتجه (مايكل) إلى منضدة عليها دورق ماء وأكواب وسكين فاكهة ، فصب لنفسه بعض الماء وشربه .. وقال :

ـ « الخطابة عمل يجلب الظمأ .. »

وناول الدورق لـ (آن) ثم تناول السكين وقطع تفاحة .. خيل لـ (جوبال) أن (مايكل) قطع إصبعه لكن انتباهه تشتت حينما وصل الكوب له .. شرب منه جرعة وقد شعر بأن حلقه جاف فعلاً ..

أمسك (مايكل) بيده وابتسم :

- « كف عن القلق .. أراك خلال دقائق يا أبى .. »

وخرجوا عابرين ممر الكوبرا الحارسة ..

أما (جوبال) فقد عاد إلى حيث كان الباقون بناء على أوامر (مايكل) .. وراح يراقب الشاشة ..

كان هناك زحام من الدهماء يتقاتلون مع رجال الشرطة الذين لا يحملون إلا العصى .. كانت هناك صرخات لكن أكثر ما سمعه هو ضوضاء فحسب ..

وتساءل أحد المشاهدين :

- « أين هم الآن ؟ »

قالت (باتى) :

- « بعضهم وصل إلى الردهة الآن .. لقد رأوا (مايكل) والتقط البعض صورًا .. »

ثم ظهر على الشاة مراسل صحفى فخور :

- « هنا الشبكة الدولية NWNW .. لقد عرفنا الآن أن الرجل من المريخ قد خرج من مخبئه هنا فى مدينة (سان بطرسبورج)

الجميلة .. المدينة التى تحوى كل ما يجعلك تغنى .. يبدو أن (سميث) ينوى الاستسلام للسلطات .. لقد فر أمس من السجن مستعملاً متفجرات قوية أمده به أتباعه المجانين .. لكن يبدو أن نطاق الشرطة حول المدينة منعه من مغادرتها .. والآن إعلان بسيط من راعى هذا البرنامج .. »

« شكرًا وعيد سعيد يا من تشاهدون شبكة NWNW .. »

قالت (باتى) :

ـ « إنهم قادمون من الباب الأمامى ! »

ومن جديد عاد صوت المذيع :

ـ « من فندق (جوهرة الخليج) الذى لا تعتبر إدارته مسئولة عن هذا الهارب ، وقد تعاونت مع رجال الشرطة كما قال تصريح لمدير الشرطة (ديفيس) .. نلقى الآن بعض الأضواء على حياة ذلك الرجل ، بينما نحن بانتظار ما سيحدث .. »

وراحت لقطات من حياة (مايكل) تتوالى على الشاشة .. لقطات من اللقاء الزائف الذى أجروه معه .. لقطات من لقائه مع السكرتير العام ..

ـ « هل ترين شيئًا يا (باتى) ؟ »

- « (مايكل) فى أعلى الدرج .. والناس على بعد مائة ياردة .. (دوك) يلتقط بعض الصور .. »

ومن جديد عاد صوت المذيع :

- « هذا الجمع الرائع يواجه خبرة لم يمر بها من قبل .. لقد عوملت قوانينهم بازدراء وعومل رجال أمنهم بقسوة .. أتباع هذا المسيخ الدجال لم يألوا جهدًا كى يفر قائدهم من قبضة العدالة .. يمكن لأى شىء أن يحدث ..

« إنه يتجه نحو الناس :. »

كان (دوك) و(آن) يمشيان خلفه .. بينما (مايكل) يدنو من كاميرا مواجهة حتى صار بالحجم الطبيعى على شاشة التليفزيون ، وكأنه فى نفس الغرفة مع إخوة الماء ..

وقف مواجهًا الجماهير وصاح :

- « هل ناديتمونى ؟ »

فأجابته زمجرة ..

وسطعت الشمس ملقية ضوءًا ذهبيًا عليه .. كان جميلاً جمالاً جعل قلب أبيه (جوبال) ينقبض .. لو كان (مايكل

أنجلو Michelangelo) هنا ، لصمم على أن يسجله للأجيال التى لم تولد بعد ..

قال (مايكل) :

ـ « انظروا لى ! أنا بشرى .. »

هنا انقطعت الصورة لتظهر مجموعة من الراقصات يغنين :

ـ « هلموا يا سيدات .. صابون (الحبايب) برفق بأيديكن .. لكن تأكدن من الاحتفاظ بالشريط ! »

ثم عاد الإرسال ..

ـ « عليك اللعنة ! »

كذا انطلق نصف قالب من القرميد ليضرب (مايكل) فى الضلوع .. فاستدار لقاذف الحجر وقال :

ـ « ليس بوسعك إلا أن تلعن نفسك .. ولن تستطيع الهرب من نفسك ..

ـ « أيها الهرطيق ! »

وطار حجر ليضربه فوق الحاجب الأيسر .. فانفجر الدم منه .. قال (مايكل) :

- « حينما تضربنى فأنت تضرب نفسك .. »

هنا هوت المزيد من الحجارة ..

- « أنا أمنحكم ماء الحياة فلا حاجة بكم إلى أن تكرهوا بعضكم .. عيشوا فى سلام وحب معًا .. »

نظر إلى الكاميرا فأصابته صخرة فى فمه .. لكنه ظل يرسم ابتسامة حنين على شفتيه ..

- « فلتكن شربتكم عميقة.. اقتربوا أكثر من بعض .. »

هنا جاء الإعلان :

« كهف (كاوينجا) .. النادى الليلى الذى يحوى هباب (لوس أنجيليس) الذى تم استيراده طازجًا كل ليلة .. راقصات مثيرات .. »

- « أشنقوه بلا محاكمة ! »

هنا انطلقت بندقية ذات عيار ثقيل جوار (مايكل) فأصيبت ذراعه اليمنى عند الكوع وسقطت .. تدحرجت على الأرض وكفها لأعلى كأنما هو يوجه دعوة ..

- « أعطه الأخرى يا (شورتى) !! لتطلق من مسافة أقرب ! »

وانطلق حجر آخر ليهشم رأس (مايكل) .. .

ثم دوى طلق آخر تلته طلقتان .. الأولى ضربت (مايكل) فوق القلب وهشمت الضلع السادس فوق عظمة القص ..

لكن (مايكل) واصل المشى مترنحًا مبتسمًا للأمام وواصل الكلام بلا عجلة :

ـ « المشكلة فى الإنسان .. لو استطعت السيطرة على نفسك لفعلت كل شىء .. »

ـ « هلموا يا رجال ننه الأمر ! »

وسرعان ما انقض الرجال عليه .. بالقبضات والحجارة .. فالأقدام .. إلى أن صاح أحدهم :

ـ « تراجعوا كى نسكب فوقه الجازولين ! »

كانت الكاميرا تقترب لترينا وجه الرجل من المريخ .. كان يبتسم .. ومن جديد قال :

ـ « أنا أحبكم .. »

ثم فقد اتحاده الجسدى ..

* * *

24

ازداد الدخان كثافة فقالت (باتى) فى تبجيل :

- « جميل .. لقد استراح ! »

وقال أحد الواقفين :

- « بطريقة تليق به .. لقد انتهى الفتى بطريقة تليق به .. »

نظر (جوبال) فى حيرة للإخوة .. هل هو الوحيد الذى شعر بأى شىء ؟ حتى السكرتيرة (دوركاس) كانت هادئة جافة العينين ..

قالت (باتى) :

- « ستعود (آن) و(دوك) الآن عبر الرواق .. يجب أن أعد الغداء الآن .. »

هنا أوقفها (جوبال) :

- « (باتى) .. هل تعرفين ما كان (مايكل) ينتويه ؟ »

بدت عليها الدهشة وقالت :

- « ماذا ؟ بالطبع لا يا (جوبال) .. لم يعرف أحدنا بشىء .. لقد جاءت لحظة الكمال .. »

قالت له (جيل) :

ـ « (جوبال) يا أبانا .. أرجوك أن تصمت وتستوعب لحظة الكمال هذه .. »

لكنه تركها واتجه كالكفيف إلى حجرته .. أغلق الباب خلفه وانحنى على الفراش .. يا ولدى ! يا ولدى ! لقد كان لديه الكثير مما يعيش لأجله .. ليتنى مت بدلاً منه ..

لقد ترك التيس العجوز (جوبال) الفتى يقود نفسه إلى نهاية بلا جدوى ولا معنى .. استشهاد لكنه ليس استشهادًا على الإطلاق .. كان بوسع (مايكل) أن يعطى هؤلاء القوم شيئًا ماديًّا مفيدًا .. لكن ما جدوى أن يعطيهم الحقيقة ؟ من يريد الحقيقة ؟

ضحك لهذه الدعابة ثم بكى ثم ضحك .. على خديه امتزجت دموع الضحك مع دموع الحزن ..

بحث فى الحقيبة عن الشىء الذى كان يحتفظ به .. الشىء الذى أبقاه هناك منذ أصيب (دوجلاس) بالفالج .. الآن هو يحتاج لعلاج وقد قدر أن ثلاثة أقراص كافية .. ابتلعها مع بعض الماء ثم رقد على الفراش ..

بدأ الألم يزول ..

ومن مسافة بعيدة جاءه الصوت :

- « (جوبال) .. »

- « أنا نائم .. لا تضايقنى .. »

- « (جوبال) .. أبى .. »

- « مايكل ؟ »

- « انهض .. فلم يأت أوان الاكتمال بعد .. »

هكذا نهض (جوبال) وسمح لنفسه أن يقاد إلى الحمام .. سمح لرأسه بأن يوضع على الحوض .. وسمح لنفسه بأن يقىء ..

- « شكرًا يا بنى .. شكرًا .. »

وببطء ارتدى ثيابًا أكثر نظافة .. وخرج إلى الرواق ليلحق بالباقين ..

كانت (باتى) هناك فقالت له :

- « هل تريد أن تتناول الغداء ؟ »

- « نعم .. من فضلك .. »

وهكذا دعته إلى اللحاق بها فى المطبخ .. هناك كان نحو عشرين من أخوة الماء يأكلون وبينهم (دوك) الذى قال له :

- « مرحبًا يـا ريس .. لقد طلبت حافلة هوائية تتسع لعشرين شخصًا .. سوف نهبط بها فى حديقة بيتك .. »

لم يقاوم (جوبال) .. فهو يعرف أن هذا يعنى أنه لن ينام وحده فى داره ثانية ، لكنه لم يستطع الاعتراض ..

- « ليس جميعنا .. سيوصلنا (تيم) ثم يأخذ الباقين إلى (تكساس) ..(بياتريس) و(سفين) ستتجهان إلى (نيوجيرسى) .. »

وسأله (دوك) :

- « سيدى .. متى تسمح لنا بأن نملأ حمام السباحة من جديد ؟ »

قال (جوبال) : .

- « نحن لا نملؤه قبل الأول من إبريل كل عام .. لكن بوجود السخان الجديد يمكن أن نملأه فى أى وقت .. »

وسألت إحداهن (باتى) :

- « هل تعتقدين أن ثعابينك تتحمل قبوًا نظيفًا دافئًا لفترة ؟ »

ونظر (جوبال) إلى (دون) وقال لها :

- « هل تكتبين على الآلة الكاتبة ؟ »

- « نعم .. »

- « إذن اعتبرى نفسك سكرتيرة عندى إلى أن أجد لك وظيفة كاهنة عظمى فى مكان ما .. »

وساهمًا قال (جوبال) لـ (دوك) :

- « لقد خدعت (مايكل) .. كان يراهن على أنه سيعيش بعدى ويقدمنى صنفًا أساسيًا فى عشاء (عيد الشكر) .. بل ربما أنا الذى خدعت .. فلن أحصل منه على قيمة الرهان أبدًا .. »

- « أنت كسبت من دون جائزة .. »

وراح (جوبال) يشرب وهو مندهش من حالة السلوى التى يمر بها .. لكم بدا له (مايكل) بريئًا يوم جاء بيته .. متلهفًا على إرضاء الآخرين .. ثم صار ذا قوة جبارة وبرغم هذا لم يفقد براءته الملائكية لحظة ..

الآن أفهمك يا بنى .. I grok ..

جلس يلتهم الغداء بينما قال (سام) :

ـ « كنت أتكلم مع (روث) عن المستقبل .. ما دمنا أنشأنا مشروعًا ناجحًا فلا يوجد سبب لإيقافه حتى إن مات صاحب العمل .. كنا نتكلم عن إنشاء مقر جديد والبحث عن آخرين .. لكن علينا جمع المال من جديد .. والكثير منه فالأمر لا يتعلق بإعادة فتح (كشك جرائد) .. »

قال (جوبال) :

ـ « المال ليس مشكلة .. »

ـ « كيف ؟ »

ـ « كمحام لا يجب أن أقول هذا .. لكنى أقوله كأخ مائى .. سأشرح لكم فيما بعد .. أما الآن يا (آن) .. عليك أن تشترى المنطقة التى قتلوا فيها (مايكل) .. وحولها دائرة قطرها مائة قدم .. »

ـ « لكن هذا جزء من ملك الحكومة .. مائة ياردة معناها أن تستولى على جزء من الشارع .. »

ـ « لا تجادلى . »

ـ « لا أجادل .. فقط أعطيك الحقائق .. »

- « سيبيعون .. ولسوف يغيرون اتجاه الطريق .. سوف ألوى ذراعهم عن طريق (دوجلاس) .. سوف ندفن (مايكل) هناك ونرغم الشرطة على حراسة هذا القبر .. ويومًا ما سيأتى من قتلوه ليبكوا على قبره .. »

ثم أخبرهم عن ثروة (مايكل) وعن الوصية التى تركها لهم .. من هذه اللحظة صار كل واحد منهم مليونيرًا حتى بعد خصم الضرائب .. ثم سألهم :

- « والآن فلنرحل .. هل تم دفع الفواتير ؟ »

قال (بن) فى لطف :

- « (جوبال) .. نسيت أننا نملك هذا الفندق ! »

• ولم يضايقهم رجال الشرطة .. على كل حال كانت المدينة كلها قد هدأت أخيرًا ..

وسرعان ما كانت الطائرة تنطلق ..

وفى الطائرة أخبر (محمود) بخطته .. كان راغبًا فى الذهاب إلى المريخ لتعلم اللغة من منبعها .. على أن ينتهى قاموس (محمود) خلال عام من هذه اللحظة .

قال (محمود) :

ـ « إن ذاكرة (آن) الفوتوغرافية جعلتها تتقدم جدًا فى اللغة المريخية أكثر مما تتصور أنت .. سوف تساعدك كثيرًا فلا حاجة بك إلى مشروع السفر هذا .. فقط اجلس مع (آن) أكثر .. »

قال له (جوبال) :

ـ « جميل .. والآن اتركنى فأنا أريد أن أعمل .. »

ثم نادى بصوت عال :

ـ « أول الصف .. »

جاءته السكرتيرة (دوركاس) فقال لها :

ـ « هل ترغبين فى العمل ؟ »

ـ « نعم .. أنا بحال ممتازة .. »

ـ « إذن نبدأ .. مسرحية تليفزيونية .. العنوان هو (مريخى يدعى سميث) .. المقدمة : لقطة زوم على كوكب المريخ .. تتابع لقطات لا ينقطع .. ثم لقطة مقربة : داخل سفينة فضاء .. مريضة بشرية ترقد على .. »

* * *

25

لم يصدر قرار الاتهام ضد الكوكب الثالث من (سول) قط .
لم يكن الكبار القدامى على الكوكب الرابع مطلقى العلم إلى هذا الحد ، وبشكل ما كانوا ضيقى الأفق كالبشر .

استخدموا منطقهم العظيم ، وقرروا أنهم فى وقت ما سيجدون حتمًا دليلاً على وجود خطأ فى تلك الكائنات العجول القلقة المشاغبة على الكوكب الثالث . خطأ يستوجب الغربلة ، بمجرد أن يتم استيعابهم والتعبد لهم وكرههم . لكن إلى أن يصلوا لهذا القرار ، فإنه من غير المحتمل أن يقرر الكبار القدامى تدمير هذا الجنس العجيب المعقد . إن الخطر ضئيل إلى حد أن المسئولين عن الكوكب الثالث لن يضيعوا جزءًا من الدهر لتفاديه .

روبرت هاينلاين

1962

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب

غريب فى أرض غريبة (الجزء الثانى)

54

هذا هو (فالنتين مايكل سميث) .. الرجل القادم من المريخ .. البرىء فى عالم متوحش .. الساذج فى دنيا مفعمة بالتعقيدات .. ما لا يعرفه هو أنه ـ قانونًا ـ المالك الوحيد لكوكب المريخ ، وما لا يعرفه البشر هو أنه سيغير وجه الأرض .. بفلسفته الغريبة .. بقواه غير المعهودة .. بسذاجته التى لا ترى العالم كما نراه ... (روبرت هاينلاين) وأعلى القصص مبيعًا فى تاريخ أدب الخيال العلمى كله ..

العدد القادم حكايات أندرسن

الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٢٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس ٦٨٤٧٠٢

